قشعريرة

ما وراء الخوف

فريق
متميزون
E-BOOK

محمد الناصر

بوك لاند للنشر والتوزيع
BOOKLAND
PUBLISHING AND DISTRIBUTION

الطبعة الثانية

مكتبة فريق (متميزون)

لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية

قام بالتحويل لهذا الكتاب:

كلمه مهمة: هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.

وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات: فريق (متميزون) انضم الى الجروب

انضم الى القناة

قشعريرة

محمد الناصر

عن الكتاب..

خلف أبواب البيوت هناك العديد من القصص الغريبة التي من الصعب الوصول إليها. وربما اصحابها فضلوا عدم البوح بها خوفا من عدم تصديقهم أو ربما أنك في يوم من الأيام ستتهم بالجنون. من خلال هذا الكتاب استطعت ان احصل على مجموعة من القصص الغريبة والمندهشة التي عندما سمعتها أول مرة أصبت بالذهول. بل إن شعر جسدي قد انتصب وأصبت بقشعريرة بسبب غرابة أحداثها. تفضل وأقرأ تلك القصص التي ربما ستجعلك تعيش لحظات من المتعة. أو أنك ستفكر كثيرا هل حصل ذلك بالفعل؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

مقدمة

ستصاب يوما ما بقشعريرة، بعدما تعرف الحقيقة، طال الدهر أم قصر ستصاب بذلك الشعور، فعندما يخذلك حبيب كنت تظنه أنه هو الحياة، أو تخيب الظنون بصديق عملت له كل شيء وعند حاجتك ليده أعطاك ظهره ورحل، أو قريب وضع أمامك العراقيل بدافع الحسد حتى لا تصبح أفضل منه، أو ذاك الزميل الذي يجلس في غرفة بعيدة يظن أنه أفضل منك بمراحل لكن دافع الغيرة يجعله يتحدث عنك بسوء، وينصب لك الفخاخ حتى تفشل، أو أولئك الذين يثرثرون كثيرا في مكان ما، يتحدثون عنك بشيء ليس فيك لكن الأمر بكل بساطة أنهم يكرهونك بدون سبب، هنا ستصاب بالقشعريرة التي سينتصب لها شعر بدنك بشكل تلقائي، وتسأل نفسك السؤال ذاته، لماذا هم يفعلون ذلك؟

في داخل كل منا أشياء مخفية، من الممكن أن تكتشف بعضها في الصفحات القادمة...

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

شؤم

في خفايا الروح أسرار مدفونة

كانوا يطلقون علي دائما اسم "شؤم" أو النحس أو أيا من الألقاب التي لا تجلب الطالع الجيد أو الحظ السعيد، حتى أصبحت تلك المسميات أشياء ليست بالغريبة علي، وباتت تشكل هاجسا مزعجا وكبيرا لي، ودائما ما أتساءل لماذا ترتبط هذه الأمور ارتباطا وثيقا بي، والذي أعرفه أن كل ما يحدث في هذا الكون مجرد أقدار، ربما الوقت والزمان هما من يكونان قد ارتبطا بتلك الأحداث، لكن الحظ العاثر الذي يحدث للأشخاص الآخرين، ليس له أي علاقة بي، أو ربما يتصادف مع وجودي في المكان نفسه.

قبل الدخول للحكاية، دعوني أعرفكم بنفسي أدعى عهود، عند كتابة هذه القصة كنت أبلغ من العمر 24 عاما، لكن قصتي بدأت معي منذ كنت في الرابعة من عمري، وبالتحديد تلك الألقاب التي قاموا بإطلاقها علي، وكانت بدايتها من والدي الذي ربط هو الآخر حدث وفاة والدتي بموعد وصولي للدنيا، ولن أنسى جملته تلك عندما كنت في الرابعة من عمري التي قال فيها:

- أنت فأل غير حسن، لم تمر سنتان على والدتك حتى أصيبت أمك بمرض السرطان والذي عذبها طوال العامين الفائتين حتى ماتت.

كانت جملته تدق في أذني كالطبول، صحيح في البداية لم أكن أستوعبها جيدا، لكن مع مرور الوقت بدأ ذلك الخنجر الذي غرزه والدي في صدري ينشر آلامه وسمومه، وبين الحين والآخر أشعر بوخزه كثيرا.

وطبعا الأحداث لم تقف عند هذا الحد بل أصبحت كالسلسلة حلقاتها مرتبطة بعضها ببعض، بشكل غريب جدا، وكما قلت لكم مرتبط بوجودي أثناء وقوع تلك المشاكل.

بعد وفاة والدتي بأقل من عام قرر والدي الزواج، فهو رجل في منتصف الثلاثين من عمره ومن الصعب العيش من دون زوجة، وكان له ما أراد عندما تزوج بامرأة أخرى، ومن شروطها الجادة أن أعيش بعيدا عن حياتهم الزوجية، فوافق والدي على الشرط من دون تردد، وذهبت للعيش مع جدتي أم والدتي، وهنا جاء الحدث الثاني، وبالتحديد أيضا بعد 3 أعوام عندما بلغت السابعة من عمري.

نهضت في تلك الليلة على صوت جلبة كبيرة، ثم انتبهت إلى وجود عدد كبير من الناس على ما يبدو كان بينهم رجال من الإسعاف، وبعدها علمت أن الخادمة فوجئت بعدم حراك جدتي وكانت تظن في البداية أنها مغمى عليها،

لكن أكد المسعفون أن جدتي قد توفيت، وكان السبب الرئيسي وراء وفاتها هبوط حاد في الدورة الدموية، علما أن جدتي تعاني من أمراض وأغلبها أمراض التقدم في العمر، لكن قبل وفاتها بيوم كانت بأفضل حال، وهو ما جعل الجميع يصاب بالصدمة وبالذات أخوالي.

هنا حدث تغير آخر في حياتي، فالجميع تملص من مسؤوليتي، وأصبحت ككرة صغيرة يتقاذفها أفراد العائلة، وفي الأخير وقعت هذه الكرة التي تدعى عهود بيد أبي، كونه المسئول الأول عني، واستطاع والدي إيجاد حل وسط مع زوجته التي اشترطت على والدي أن أعيش بالملحق الذي يقبع خلف المنزل، وطبعا والدي وافق من دون أي اعتراض، بعض الآباء مجرد أسماء يربطها بك فقط شهادة الميلاد، ووالدي من هذا النوع، نسي أنني ابنته وأحتاج رعايته واهتمامه وركض وراء رغباته ومسلياته، كيف لفتاة صغيرة لم تتجاوز الثامنة من عمرها أن تعيش باقي عمرها في ملحق صغير ولوحدها.

ورغم هذا كله لم أتأفف أو أشتكي وقبلت بالأمر الواقع، بل شعرت أن عمري تقدم كثيرا، كون المسؤوليات التي وقعت على عاتقي كانت كثيرة وكبيرة في الوقت نفسه، وهذه الظروف جعلتني أخرج تلك القوة الخفية التي في داخلي، لأعيش حياتي من جديد، وحتى لا أظلم والدي كثيرا فهو كان يزورني مرة في الأسبوع، وبعض الأحيان يتصل بي من باب إراحة ضميره، عشت حياتي بهدوء وحيدة، من البيت إلى المدرسة والعكس، ونادرا ما أختلط مع أحد، تسليتي هي الكتب والتلفاز، خلال ذلك الوقت علمت أن والدي رزق بولدين، كنت سعيدة جدا لأنه أصبح لي إخوة، وكنت أتوق شوقا لرؤيتهم، بينما زوجة أبي كانت ترفض رفضا باتا أي ارتباط أو زيارة بيني وبينهم، علمت أيضا أن أخواي يدعيان بدر الكبير الذي يبلغ 4 سنوات، بينما جابر أصغر منه بعام، لكن ما كان يحز في خاطري رفض زوجته، كنت أتمنى التقرب منهم ومعرفتهم أكثر أو حتى النظر إليهم، لا أعلم هذه المرأة لماذا تكرهني لهذا الحد؟

حتى لا نخرج عن سياق القصة، فقط كنت أريد أن أبين لكم مدى سوء علاقتي بعائلتي، ومدى الظلم الذي أتعرض له منهم، وكم هو مؤلم أن تتعذب دون أن تعرف السبب.

الحدث الثالث الذي دخل في حلقة سلسلتي الطويلة وجعلت كلمة شؤم ترتبط بي ارتباطا وثيقا، وجعل الجميع يتأكد بما لا يدعو للشك أنني إنسان نحس، كما قلت لكم في السابق، والمصيبة هذه المرة كان مرتبطا بزوجة أبي.

الصدفة حدثت في تلك الليلة عندما سمعت خطوات أحدهم تدب أمام باب الملحق الذي أعيش فيه، كنت مسرورة جدا لأنني لأول مرة منذ سكني في هذا المكان أشعر أن هناك أشخاصا يتحركون قريبا من بيتي، تقدمت نحو الباب الخارجي لأجد شقيقي بدر مع الخادمة، ابتسمت وسألت الخادمة أريد التأكيد.

- هل هذا بدر؟

أجابتني بالتأكيد، شعرت بشيء داخلي لا أعلم كيف أصفه لكم، وكنت أعرف أنه غير مسموح لي الاقتراب منه، هنا تعاطفت معي الخادمة التي كانت تعلم جيدا تفاصيل حياتنا، ثم أدخلت بدر عنوة لملحقي، ضاربة بعرض الحائط كل قوانين أمه، وأغلقت الباب وقالت لبدر بلكنة عربية ركيكة...

- تقدم يا بدر هذه أختك الكبرى عهود.

هنا شعرت بعبرة قد شقت صدري، يا لسخرية الأيام الخادمة الغريبة عطفت علي وأرادت أن تلم شمل العائلة، والأقرباء المقربون يسعون بكل الطرق لطردي من هذه العائلة دون أسباب تذكر.

تقدم نحوي بحذر وبابتسامة بريئة أمسكته من كتفه، ومن ثم قبلته وعرفته بنفسي، كان يبتسم بعفوية، هنا انتبهت لأمر، كنت أريد أن أعطيه أي شيء حتى يتذكرني به، فالأطفال تبهجهم الأشياء البسيطة وتربطهم معك، وتعد هذه الأشياء ذكرى تلتصق بأذهانهم، المشكلة أنني لا أملك من الحلويات أو السكاكر رغم أنني لم أتجاوز 11 من عمري، لكن كنت أعامل نفسي بطريقة أكبر، وبينما كنت أفكر بشيء أعطيه لبدر، حتى سمعت صوت الباب يطرق بقوة، فزعت قليلا، وظهر الذعر على وجه الخادمة، فتحت الباب لأتواجه لأول مرة مع زوجة أبي وجها لوجه، لم تتحدث معي بل أطلقت كل غضبها وصبته على وجه الخادمة المسكينة مع كمية من الشتائم على أعلى طراز، كنت صامته ومصدومة في الوقت نفسه، عيناها كانتا تشعان كرها لي، أسمع تلك الكلمات التي أكدت أن هذه المرأة تكرهني بشدة، وقتها شعرت بغضب كبير تمنيت لو أنني أقفز عليها وأشبعها ضربا، لكني لم أملك تلك الجرأة وبقيت صامتة أبتلع قهري بهدوء، وبعد دقائق رجعت مرة أخرى لوحدتي.

كانت وقتها الساعة تشير إلى الثالثة عصرا، دخلت غرفتي وأخرجت جميع الدموع التي يمكن أن يخزنها جسدي، بكيت بحرقة وتمنيت لو أنني أستطيع تمزيق زوجة أبي تمزيقا، تمنيت لو أنني لدي القدرة على كسر قلبها، لم أملك أي أحد وقتها لينصفني أو يأخذ حقي من هذه المرأة الوقحة، أو أنني من تلك الفتيات اللواتي يملكن حيلا ومكرا ودهاء، وكل ما كنت أريده في هذا الوقت العودة مرة أخرى لحياتي الوحيدة من دون أي مشاكل.

تظنون أن القصة انتهت عند هذا الحد بالطبع لا، هناك الحدث الأقوى الذي جعلني أبكي مرة أخرى، وبالتحديد بعد ساعتين من لقاء أخي بدر، عندما سمعت صراخ زوجة والدي، ونحيبها خرجت من ملحقي الصغير، أريد معرفة ما حدث وكانت الفاجعة الكبرى عندما علمت أن أخي بدر قد تعرض لحادث دهس، شعرت بغصة كبيرة في صدري، ولا أخفي عليكم شعرت في الوقت نفسه بسعادة كبيرة ونشوى تسمى نشوة الانتقام عندما رأيت زوجة والدي تبكي وتولول، وبعدها عرفت أن بدر غافل الجميع وخرج من المنزل للشارع، وكان أحد الجيران في هذا الوقت يريد الخروج بسيارته، ونظرا لصغر حجم بدر لم ينتبه له جارنا الذي كان يقوم بإرجاع سيارته للوراء من أمام بيته، ليدهس بدر الذي كان خلف السيارة، أسعفوا بدر بسرعة كبيرة، لكن بعدها بيوم عرفت أن أخي أصيب بالشلل بعد إصابة خطيرة في عموده الفقري، كما قلت لكم كنت أعيش شعورا متناقضا، ولم أفكر بموضوع الشؤم الذي ارتبط بي، إلا بعد أسبوع عندما زارني والدي، وراح يصرخ علي بكل قوته، ويكرر تلك الجملة التي قالها أول مرة عندما توفيت والدتي:

- أنت نحس، لم أر من ورائك غير المصائب.

ثم فهمت من عنده أنني السبب وراء موت والدتي ووفاة جدتي، وإصابة أخي بالشلل، فكل شيء مرتبط بي، وأنه لا يريد رؤية وجهي بعد اليوم، ولولا رابط الأبوة الذي بيننا لجعلتك تعيشين في الشارع، من يومها حقدت على والدي بشكل فضيع وبشكل غير اعتيادي كما أكن له الشعور نفسه الذي أشعر به نحو زوجته، انقطعت كل السبل التي تربطني بهم حتى اتصالات وزيارات والدي توقفت، وداخلي أردد لماذا يربطون إصابة بدر بالشلل بي، كل هذا قضاء وقدر.

مر عام على تلك الأحداث، وكنت أدعو الله ليلا ونهارا أن لا يحوجني في شيء إليهم، وأن أسير حياتي حتى أتخرج من الجامعة وبعدها أعيش لوحدي، لكن من المستحيل أن لا أحتاج لأبي طوال هذه الفترة، كوني فتاة صغيرة وصلت ل13 من عمري ولدي متطلبات تتطلبها أي فتاة في مثل سني، كنت مترددة كثيرا قبل الاتصال به، لأنني كنت بحاجة كبيرة للمال لأقضي بعض الاحتياجات الخاصة بالمدرسة، وحسمت الأمر واتصلت به.

كان رده باردا مقيتا، ألقيت عليه السلام ولم يبادلني بمثله، بل قال لي بشكل بغيض...

- اختصري ماذا تريدين؟

طبعا أجبته أنني أحتاج للمال، لم أنته من جملتي هذه حتى انفجر علي بسيل من السباب والشتائم قائلا:

- تمنيت لو كنت قد توفيت عند ولادتك، عشت من أجل تعاستي، من أجل أن تجلبي لنا كل هذه المصائب، أتدرين منذ سكنك معنا ماذا حصل، لقدر خسرت خسائر عديدة بالبورصة، ناهيك عن سرقة كل مجوهرات وأموال زوجتي، وأعتقد تعرفين ماذا حدث لبدر، كل هذه الأمور حدثت بعد وصولك إلى هنا، أي شؤم تملكين يا فتاة؟

بعدها أغلق الهاتف في وجهي، أعتقد تعرفون سلاح من لا حيلة له في مثل هذه الظروف، سلاحي كان البكاء، بكيت بشدة وقهر، لم أكن أعرف ما سأفعله هل أشتكي عليه، أو أتصل به، لأبادله الشتائم، أنا لست من هذا النوع الذي يتعامل مع والده بهذه الطريقة، اخترت الصمت، رغم ذلك الحقد الكبير الذي كنت أحبسه في قلبي عليه وعلى زوجته، لكن صمتي كان خارجيا بينما كلي يصرخ، لم أستطع تحمل كل هذا، صرخت في الغرفة صرخة كبيرة، كنت أريد إخراج كل ما في من كبت وحقد أكنه لهم، إنهم يكرهونني بلا سبب، وأنا أحقد عليهم لكثير من الأسباب.

بعد صرختي هذه حدث شيء غريب، شيء لا أفهمه، انطفأت جميع مصابيح الإنارة في الغرفة مرة واحدة، وهو الأمر الذي جعلني أنتبه وأقطع حفلة البكاء والصراخ، لا أنكر أنني قد شعرت ببعض من الخوف، كنت أنظر وأتساءل لماذا حدث كل هذا فجأة، لكني لم أكترث، وبررت ما حصل بسبب عطل كهربائي، لأن ما يوجد داخلي من غيض وحزن كان يرهقني بكل قوة ففضلت الاستمرار بما أنا عليه.

مرت أربع سنوات سريعة متتالية أعيش تلك الحياة البائسة، وطبعا أنتم تعلمون أي حدث سيء يحصل لأبي وزوجته يربطونه بي، رغم أنني كنت أتحاشاهم بكل قوتي، وبدأت ملامح أنوثتي تظهر بشكل علني، فقد تخرجت من الثانوية وها أنا الآن أخطو خطواتي الأولى في الجامعة، المكان الجديد الذي لا يعرفني فيه أحد، فمدرستي كانت سمعتي تسبقني إليها بسبب الكلام الذي كانت تنشره زوجة أبي علي بين الجيران، والذي وصل بسرعة البرق للمدرسة، والمعلمات يعرفن أنني البنت التي تحمل على ظهرها كل شؤم العالم والاقتراب مني يعني الخطر بعينه، والجميع هنا كان يتحاشاني، ولا يود حتى الارتباط، كل هذا علمني شيئا مهما يفتقده كل من هم في عمري، الاعتماد على النفس، كما قلت لكم في الجامعة لا زوجة أبي وأغلبهم لا يعرفني، فبدأت أكون بعض الصداقات على خجل، حتى ارتبطت بأحد الشبان الذي بدأ يملأ المساحة الفارغة في حياتي بكل حب وود واحترام.

في البداية كنت خائفة، فأنا غير معتادة على مثل هذه العلاقات، بسبب عيشي وحيدة بين جدران ذلك الملحق الذي بات يحفظ كل حركاتي وسكناتي، نعم الإنسان بحاجة الإنسان هذه الجملة كانت حقيقية، وأنا فتاة بحاجة لرجل

يدخل حياتي ليعوضني عن كل ما فات، يداعب أنوثتي التي بدأت أشعر بها، فلم أجد في خالد إلا كل احترام، ودائما ما يقول لي لديك عقل يختلف عمن هم في سنك، أنت مختلفة وهو الأمر الذي جعلني أختارك، لم أجد أي قدرة على صد مشاعر ذلك الفتى عني والذي يماثلني في العمر، ففتحت له قلبي وحكيت له كل شيء عن حياتي، إلا أمرا واحدا هو وصف الشؤم الذي يلاحقني، خوفا من أن يحصل أمر فيبدأ خالد بربط الأحداث وتأكيد هذه الصفة كما فعل الباقون.

بعد مدة من علاقتي بخالد، حصل أمر مفصلي ومهم في حياتي، غير العديد من الأشياء التي كانت تحتاج للتغير في وقت سابق، عندما توفي والدي بشكل سريع ومفاجئ، لم أحزن أبدا على خبر وفاته، بل أتيت مراسيم عزائه صامته أنظر للوجوه المنافقة التي تبكي برياء عليه، كنت واضحة وضوح الشمس أمام المعزين أريد إيصال رسالة لهم، أن أبي لم يكن أبي بل كان رجلا آخر اختارته لي الحياة من أجل شقائي، وهنا الآن أمارس الدور الذي أوكله لي القدر حتى أنهي هذه العلاقة البائسة.

وسرعان ما انتهى كل شي وعادت الحياة لطبيعتها، فالميتون بشر منسيون لا محالة لا تبقى إلا صورهم معلقة على الحائط لاستثارة عقولنا بين الحين والآخر، لتؤكد أن شخصا كان يسكن معنا هنا والآن هو تحت التراب، بينما الحياة تسير بعده شئنا أم أبينا.

بعد شهر من وفاة والدي، سمعت طرقات على باب ملحقي، وعندما فتحته صدمت عندما وجدت الطارق زوجة أبي، فهي لم تزرني إلا مرة واحدة عندما كان بدر عندي، واليوم تأتي طواعية فلا يوجد بدر أو خادمة، دخلت وكانت هادئة على غير عادتها ثم قالت باقتضاب:

- أعلم أنك الآن تفكرين لماذا هذه المرأة تزورني في هذا الوقت، فنحن نعيش هنا منذ عشرات السنين ولم أتجرأ لزيارتك أو السؤال عنك، اسمعيني عهود أنا امرأة عملية وواقعية لا أحب ترك الأمور للصدف، وزيارتي هذه لابد منها لحسم العديد من الأمور وطبعا منها مسألة الإرث.

لم أقاطعها بتاتا كنت أستمع فقط، وأكملت حديثها:

- بصراحة يا عهود انتهى كل شيء يربطك بهذا المنزل بعد وفاة والدك، وكل ما أريده منك الرحيل، وأعلم أنك وريثة لك الحق مثل بدر وجابر، وأنا هنا الآن لحسم هذا الملف.

نظرت إليها بغضب وقلت:

- هذا يعني أنك تطردينني من بيت والدي؟

قالت بهدوء:

- لا ليس طردا بل هو طلب، فقد قمت بحصر الإرث وقسمته بينكم، وتحصلت على مبلغ جيد من الممكن أن تعيشي حياتك بهدوء بعيدا عنا، وأنا على علم أنك ستتخرجين بعد سنة ومن الممكن أن تعملي بمكان ما، أنت قادرة على هذا الأمر، فأنت في الحادية والعشرين من عمرك والحياة أمامك.

كنت أنظر إليها بغيض، وأردد داخلي هذه المرأة تحمل حقدا لم أره في حياتي في جوف أحد.

وأردفت زوجة أبي كلامها:

- نصيحة مني لك ابتاعي شقة صغيرة فأسعارها رخيصة ومناسبة لك.

ولما انتهت من جملتها هذه قامت، وقالت:

- أنتظر ردك خلال اليومين المقبلين، ولك الحق بسؤال أي محام عن حقك الشرعي، وتأكدي أنني لم أظلمك.

تركتني ورحلت بعدما غرست تلك الفكرة في عقلي، كنت أقلبها في رأسي طوال تلك الليلة، أريد معرفة هل سأكون قادرة على العيش لوحدي بشكل مطلق، نعم ليلتها لم تذق عيني طعم النوم إلا بعدما حسمت الأمر وقررت اتخاذ القرار، الموافقة على عرضها، رأيت أنني سأرحل عن هذا العالم الذي ينعتني بالنحس، فالناس لن تنسى ما كنت تفعله وتلصق بك أي شيء حتى لو لم يكن فيك، وسيبقى هذا الشيء معي ما حييت، ومن الممكن فتح صفحة جديدة مع بشر آخرين لا يعرفون من عهود، وتنتهي حكاية الشؤم التي التصقت بي طوال هذه السنين.

في اليوم التالي قلت لخالد كل ما حدث، وقمنا بعمل اللازم لإيجاد شقة صغيرة تناسبني، ولم يمر أقل من شهر حتى انتهيت من كل شيء، والآن سيارة نقل العفش تقوم بنقل أثاثي وممتلكاتي لشقتي الجديدة في منطقة الجابرية.

لا تعلمون كم كنت سعيدة، رغم أنني من النوع الذي يرتبط بذكرياته حتى لو كانت حزينة، ودعت ملحقي بحزن، بينما كنت أرى في عيني زوجة أبي نوعا من السعادة كونها خلعتني من حياتها بشكل نهائي.

قبل يوم من سكني الرسمي بشقتي الجديدة حصل أمر عكر صفو سعادتي المؤقتة التي أعيشها، عندما كنت خارجة من شقتي التي تقع في الدور الثالث، فوجئت بامرأة عند سيارتي، انتبهت لها حينما هاجمتني بكل قوة، وهي

تحدثني بغضب بعدما وقفت من دون قصد بموقفها الخاص في العمارة فهي تسكن في المكان نفسه في الدور الرابع.

اعتذرت منها بكل لباقة وأوضحت لها أنني لم اقصد، لكنها لم تقبل اعتذاري وراحت تسب وتشتم بكل وقاحة، تخيلتها للحظة كأنها زوجة أبي، شعرت بحرقة داخلية، أردد بداخلي أينما ذهبت أواجه زوجة والدي لكن بأشكال مختلفة، لم تتوقف حتى بادلتها نفس السباب والشتائم وانتهت ليلتنا في قسم الشرطة، وبعد تحقيق طويل استمر لمنتصف الليل فضل ضابط القسم أخذ تعهد علينا بعدم التعرض لبعضنا بعضا، للأسف كانت بداية سيئة في هذا المكان، وكما قلت لكن الحياة مستمرة رغم أنني كنت أحمل لهذه المرأة حقدا كبيرا، خاصة أن الموضوع كان لا يستدعي كل هذا لكنها فضلت تكبيره وإيصاله للشرطة.

وبعد حادثة جارتي سكنت في اليوم التالي في شقتي الجديدة بشكل رسمي، ناسية كل شيء من الماضي وتاركة إياه خلفي، كنت أريد فتح صفحة جديدة، إلا أن ما حصل في اليوم نفسه مساء كان فألا غير حسن عندما احترقت إحدى الشقق في الدور الرابع، وهي فوق شقتي بشكل مباشر، حتى تجمعت سيارات الإسعاف والشرطة والمطافئ، كان منظرا مربكا ومخيفا بالنسبة لي، لأكتشف بعدها أن الشقة المحترقة للمرأة التي حدثت بيني وبينها مشاجرة ليلة البارحة، كنت مستاءة جدا ليس لوقوع الحادث، بل لأن هذه الأحداث بدأت تتركز في مخي، وكلمة شؤم التي أطلقها علي والدي أصبحت تأخذ وضعها في عقلي، كون الكلمة تركزت داخله، واعتقدت بما لا يدعو للشك أنني بالفعل شؤم، فكل مكان أعيش فيه تحدث أشياء غريبة، هل بالفعل أنا شؤم؟؟

مر يومان وسمعت أن جارتي قد تعرضت لبعض الحروق بينما لم يصب أي من أفراد عائلتها، تحدثت مع خالد بكل ما حصل، لكني كنت مترددة بنقل قصة شؤم له، وأنتم تعرفون لماذا كنت مترددة خوفا من أن أخسر خالد كما خسرت كل علاقاتي السابقة، أنا في هذا المكان من أجل حياة جديدة مختلفة عن حياتي السابقة.

استقريت في شقتي بشكل طبيعي جدا، لكني كنت منعزلة عن الناس، كان موضوع الشؤم يتفشى داخلي، لا أريد الارتباط بأحد حتى لا يتأذى بسببي، بل عشت حياتي بهدوء وانعزال، وكلامي مع الذين حوالي مقتضب جدا، وحديثي كله مع خالد، كنت متوترة جدا في ذلك المكان، أخاف أن أحتك بأحدهم حتى لا يحدث له شيء سيء، يؤكد بعدها أنني إنسان نحس ولا أجلب إلا المصائب معي، يبدو أنني سأعيش كل حياتي وأنا بمعزل عن الناس ولا أكون أي علاقات، لكن سعادتي كانت كبيرة بسبب وجود خالد في حياتي، وأيضا

استمرت علاقتي به أكثر من سنة ولم يصب بأي مكروه أو تحدث له أي مشكلة، وهذا بصيص أمل بالنسبة لي على أنني لست بذلك الشؤم الذي يدعونه علي.

ذات يوم كنت حزينة جدا بسبب الوحدة المطلقة التي أعيش فيها، خاصة أن خالد كان مسافرا وكان هناك فراغ كبير في حياتي، وتنتابني ما بين الحين والآخر بعض النوبات النفسية، فالماضي الذي عشت فيه كان كفيلا بإصابتي بتلك الأمراض، حالة اكتئاب ليس لها أي مثيل كانت تصيبني ما بين الحين والآخر، ودائما ما تنتهي هذه الحالة بالبكاء والصراخ.

ليلتها بكيت بحرقة وأنا أتذكر الماضي، وويلاته وحزني غير المبرر، كوني لم أعش طفولة حقيقية، وعلاقتي مع والدي، والألقاب التي يطلقونها علي، كل هذا انصب على ذاكرتي مرة واحدة، شعرت أن روحي تكاد أن تخرج من جسدي، وقتها كنت أركز نظري على التلفاز المعلق، وبعض الكماليات الزجاجية، هنا انتبهت لتلك الأواني الزجاجية تتساقط من على الرفوف وبعدها تتحطم، ومن ثم انطفأ التلفاز فجأة، وراحت مصابيح الإنارة تشتعل وتنطفئ، وآخر شيء حصل فتح باب الغرفة على مصراعيه كأنه هناك ضغط هواء جعله ينطلق بكل هذه القوة، كل ما حصل جعلني أنسى كل أحزاني التي كنت فيها، وبدأت أفكر لماذا حصل كل هذا؟

ما الذي جرى دفعة واحدة، حاولت التركيز بما حدث خاصة أنها ليست المرة الأولى التي تحصل فيها هذه الأحداث، إذ تكررت هذه الأمور في أوقات سابقة، وعلى ما أعتقد أنها مرتبطة بي، وبالتحديد بالحالة النفسية عندما أكون في حالة حزن أو غضب شديدين.

يبدو الأمر كذلك وبدأت أفكر بالأحداث منذ بدايتها، وتلك المشاكل التي رافقتني طوال حياتي، هل أنا بالفعل سببها؟ لا أدري هل أنا بدأت أهذي بسبب كل ما مررت به، فكرت قليلا، أسأل من وأهتدي لمن، لا أريد أي شخص يعرف ذلك الماضي، فأنا كما قلت لكم أعيش حياة جديدة وأرسم مستقبلا جديدا.

لم أجد أمامي سوى التحري عن تلك الحالات، وبدأت بالبحث عن طريق برنامج (غوغل) وعن طريق (اليوتيوب) واشتريت بعض الكتب المختصة بالأمر الذي أفكر به لعلي أجد إجابة تريحني، وبالفعل وصلت للعديد من التفاسير المهمة، كان أولها أنني وراء كل الأحداث التي حصلت في السابق لجميع من سبقوا، أو ماتوا أو تأذوا، فالأمر ليس مجرد صدفة، هناك تفسير منطقي بعد قليل ستعرفونه.

أنا فتاة أملك قدرة عقلية مذهلة، قدرة التحريك عن بعد هذا ما توصلت إليه، ولدي طاقة ذهنية عالية جدا، خاصة في حالة الحزن والغضب، إذ أستطيع التأثير على كل الأشياء المادية التي حولي بشكل كبير وواضح، يعني مثلا من الممكن لو سلطت تفكيري بتركيز عال على ملعقة معدنية من الممكن أن أحركها أو أترك أثرا عليها، وهذه الظاهرة تسمى تحريك الأشياء عن بعد، لكن ما لم أجد له تفسيرا التأثير السلبي الذي أتركه على الكثير من الناس الذين حولي خاصة لو كنت في حالة غضب أو حزن، هل هو مرتبط بهذه الظاهرة الذهنية التي ينتجها عقلي، طبعا لم أتوقف عن البحث، ورحت أسأل هنا وهناك عن أناس متخصصين في مثل هذه الأمور حتى استطعت أن أهتدي إلى شخص يعيش في بلد عربي، متخصص في مثل هذه الأشياء، ولم أرتح حتى توصلت لرقم هاتفه، وبعدها اتصلت به بشكل مباشر، ثواني حتى أجابني، وتحدثت معه بالتفصيل عن كل الأحداث التي حصلت لي طوال فترة حياتي، كان رجلا ودودا طيب الأسلوب، استمع لي بتركيز ومن ثم بدأ يسألني عن بعض الأمور الأخرى التي يريد من خلالها توضيح بعض الأشياء المهمة حتى يصل في النهاية على تفسير منطقي، وبالفعل قال لي هذا الرجل الذي يدعى الأستاذ صالح:

- حالتك مرتبطة ارتباطا كليا بظاهرة تحريك الأشياء عن بعد عن طريق عقلك، خاصة من ناحية التركيز على الأشياء، لكنك لا تملكين التحكم بتلك الطاقات العصبية وأيضا "الكهرومغناطيسية" التي تخرج منه وهو ما يتعبك كثيرا، ومن ثم يهدرها في غير محلها، وعلى ما أظن طاقتك العقلية هائلة وغير اعتيادية، بما معناه أنت ظاهرة فريدة من نوعها، أي أنك تستطيعين التأثير حتى على الحالة النفسية والجسدية لكل من يغضبك أو يزعجك، وهذا ما حدث لكل من آذوك في السابق، وهو ما ترك أثرا عليهم، فعندما كنت صغيرة كانت طاقتك يافعة وحيوية تؤثر بشكل مباشر، وهذا أثر على بعض الأشخاص من حولك كونك لا تعرفين كيف تتحكمين بتلك الطاقة العقلية، وأعتقد أن أمك وجدتك ووالدك وزوجة أبيك وغيرهم ممن آلموك، أنت انتقمت منهم بطريقتك الخاصة دون أن تعرفي ذلك من خلال الطاقة التي كنت ترسلينها من عقلك لهم، وهو ما انعكس عليهم، وهناك العديد من الناس الذين لديهم هذه الطاقة، لكن نادرا ما نجد حالة مثل حالتك.

وأكمل حديثه بعد أن صمت قليلا:

- هذه الطاقات موجودة في عقولنا منذ آلاف السنين، وربما أجدادنا السابقون كانوا يملكون هذه القدرات ويستطيعون التحكم بها بمهارة عالية، لكن مع مرور الزمن انطفأت هذه الموهبة ودفنت داخل جيناتنا، وحدثت طفرات

جينية ما بين الحين والآخر لعدد من الناس بأشكال متفاوتة، وهذه أنت واحدة منهم.

ثم شرح لي أن عقلي الباطن يكتسب مع كل مرحلة متقدمة مع عمري حيلا جديدة للانتقام، ويطبقها على كل شخص تغضبين منه أو يجعلك تحزنين، فمثلا حادثة جارتك واحتراق شقتها، كان سببها الرئيسي عقلك الباطن الذي اكتسب حيلة النار، وطبقها بشكل مباشر على جارتك من خلال تركيزك العقلي الهائل، كونك تألمت كثيرا، مما جعل الحادث متمركزا داخل عقلك، وربما وأنت نائمة نفذ عقلك مهمة حرق شقة جارتك في اليوم التالي.

قلت له بإحباط شديد:

- ما الحل يا أستاذ صالح... لا أريد إيذاء أحد.

أجابني وهو يحاول تهدئتي:

- الحل الوحيد لمثل حالتك هو التدريب على السيطرة على طاقتك، وهذا يحتاج لصبر وتدريب طويل، وتسليط هذه الطاقة الذهنية بشكل مباشر على أشياء مفيدة وغير ضارة، وعدم إيقاع الضرر بمن هم حولك، كونك لا تستطيعين السيطرة على انفعالاتك.

وبعدها شرح لي بعض الطرق الخاصة بالسيطرة على هذه الطاقة العقلية الهائلة التي تخرج مني، وطلب مني تنفيذ كل هذه الأمور، من خلال فترة زمنية تمتد لعام كامل على الأقل.

نعم إنها فترة زمنية طويلة، ولابد من الدخول مباشرة في هذه التدريبات حتى لا أوذي أحدا.

عشت حياتي خلال هذه الفترة خائفة وقلقة، كل ما أريده التحكم في انفعالاتي، بينما علاقتي بخالد كانت تتعمق يوما بعد يوم، وعشقي يزداد لهذا الرجل بشكل كبير ورائع، لكن اكتشفت أن لدي صفة غير محببة وهي الغيرة عليه، كلما رأيت فتاة تتحدث معه في الجامعة يزداد غيضي، وأشعر أن الغيرة بداخلي تشتعل، ثم أتذكر أن لدي شيئا داخل عقلي، من الممكن أن يؤذي من حولي، فأحاول نسيان الأمر، وأكذب على عقلي بأن هذه المحادثات مجرد كلام عادي، لكني لم أستطع السيطرة على هذا الشيء لفترة طويلة، خاصة أن خالد شخصية اجتماعية ومحبوبة ويشترك في العديد من النشاطات في الجامعة، وهو ما يجعله يحتك بالعديد من الفتيات.

في أحد الأيام بينما كان يزورني في شقتي، رن هاتفه المحمول، لم أهتم في البداية فالأمر عادي، قبل أن تقع عيني على اسم المتصلة التي كانت فتاة،

شعرت بضيق في صدري، لم أشعر إلا وهو يرد عليها، ويتحدث معها بكل أريحية كأني غير موجودة.

وبشكل تدريجي وكلما زادت دقائق محادثته مع تلك الفتاة أشعر أن نار الغيرة تتفشى داخل صدري، وغيضي أصبح كزوبعة لا تريد التوقف تحطم كل شيء أمامها، وما إن أغلق الهاتف حتى اندفعت نحوه بكل طاقتي التي أحلمها، ورحت أتهمه بالإهمال وعدم الاكتراث، أو النظر لمشاعري، وكيف تسمح له نفسه بالحديث مع فتاة وأنا بجانبه، واتهمته أيضا بعدم احترام الحب الذي بيننا، وأن علاقتنا مجرد نزوة، ويبدو أنها مؤقتة، كل هذه التهم كانت بمثابة رصاصات استقرت في قلب خالد الذي صدم من طريقتي في الكلام وأسلوبي الجديد، لم يتحمل هو الآخر تلك الكلمات مني.

حاول في البداية تهدئتي، لكني لم أكترث لتلك المحاولات وتماديت في صراخي واتهاماتي، الأمر الذي جعل صبره ينفذ، وتدريجيا بدأ يغضب مني، ثواني حتى بدأ صراخه، والرد بقسوة على كل اتهاماتي، ودقائق أخرى حتى وصل الأمر إلى أن دفعني بكل قوته لأقع على الأرض، كانت لحظة حاسمة وصادمة في الوقت نفسه، كيف فعلها ومد يده علي؟

هنا وأعتقد أنه أحس بفعلته السيئة، فترك المكان ورحل، بكيت كما أفعل دائما، ساعة مرت وأنا في حالة غليان نسيت أنني لدي طاقة رهيبة بداخلي تنساب كالأفعى بهدوء لتفتك بكل من يريد إيذائي أو كان سببا في حزني، هنا انتبهت أن أصيب خالد بأذى، وقمت بالاتصال به لكنه لم يرد على اتصالاتي، شعرت بجنون داخلي.

يا إلهي خالد هو كل ما أملك في هذه الحياة، لا أريد أن يصيبه مكروه بسببي، ماذا أفعل في هذه الساعة؟

أنا أعرف عنوان بيته جيدا، أخذت مفاتيح سيارتي وانطلقت كالمجنونة ناحية بيته، أريد الاطمئنان عليه، ولم أتوقف خلال قيادتي السيارة عن محاولة الاتصال به، ما هي إلا دقائق حتى غبت عن الوعي بشكل كامل، انتهى كل شيء بالنسبة لي في هذه اللحظات.

لم أستيقظ إلا وأنا أرى خالد جالسا بجانبي، وعلى ما يبدو أن يده كانت ملفوفة بالجبس، وأنا ممددة على السرير الأبيض، وعلى ما أظن كنت في أحد المستشفيات...

قلت بصوت متعب...

- أين أنا...؟ لماذا أنا هنا؟

مد خالد يده المصابة ناحيتي وقال:

- الحمد الله على ما يبدو أنك صحوت من غيبوبتك.

هنا انتبهت لجملته وقلت مستفسرة:

- عن أي غيبوبة تتحدث؟ ما الذي حصل يا خالد؟

أجابني خالد قائلا:

- لقد كتب الله لك عمرا جديدا، بعدما تعرضت لحادث مروع في تلك الليلة التي تشاجرنا فيها، اصطدمت بشاحنة كانت واقفة على جانب الطريق، والحمد لله أن الأمور انتهت على بعض الإصابات التي حدثت لك، من خلال بعض الكسور والجروح، وربما تأثرت أيضا جمجمتك التي أصيبت بشكل مباشر، ودخلت بعدها في غيبوبة استمرت لأكثر من أسبوعين، وها أنت الآن تفيقين منها، وهي علامة مبشرة على تعافيك.

نظرت لخالد... وتذكرت أنني كنت أبحث عنه وقلت...

- الحمد لله أنك بخير ولم يحدث لك أي شيء، لكن لماذا يدك ملفوفة هكذا:

ابتسم لي وقال...

- حادث بسيط وقع لي في ذلك اليوم المشئوم، لا تهتمي كسر في مفصل يدي... وكلها أيام وسأزيل الجبس.

وقتها كنت أشعر بألم شديد في رأسي، وأعتقد هذا كله بسبب الحادث الذي تعرضت له، وحالة الارتجاج التي حصلت لي كما ذكر خالد، كوني دخلت في غيبوبة مؤقتة.

بقيت في المستشفى أكثر من شهر، وخالد يتردد علي بشكل يومي، بينما أكد الأطباء أن حالتي استقرت، وكل ما أحتاجه الراحة، وعدم التركيز.

مر يومان على خروجي، وقتها كنت أفكر هل أصارحه بالحالة التي أعاني منها، أم أترك الأمور كما هي عليه، حتى أتدرب وأصل لطريقة أسيطر بها على هذا الانفعال، كنت مترددة كثيرا.

وحمدت الله أن الحادث الذي حصل لي، كان السبب وراء عدم إيذاء خالد، كوني فقدت القدرة على التركيز، يبدو أن الأمر حصل على هذه الشاكلة، خاصة أنه تعرض لحادث بسيط، وهو أقل ضررا.

ثم قررت عدم افتعال أي مشاكل معه حتى أتخلص من هذه الحالة التي تنتابني بعد كل انفعال سلبي، لكن هناك شيء غريب يحدث ولاحظته منذ خروجي من المستشفى وبالتحديد مع خالد الذي لاحظت عليه تغييرات عديدة، منها قلة اتصالاته، عدم زيارته الكثيرة، وأنا التي تطلب منه تلك

الأشياء، لا أدري هل أبالغ بردود أفعالي، لحظة هناك ألم في رأسي شديد يحدث ما بين الحين والآخر، وعلى رأي الأطباء هذا طبيعي بسبب قوة الحادث وحالة الارتجاج التي حصلت لي، ومع الوقت ستزول.

رفعت سماعة الهاتف فهو لم يتصل بي منذ ليلة البارحة، هذه إحدى التغييرات الغريبة التي طرأت على تصرفاته، كلمته وطلبت منه الحضور، وطبعا تحجج في البداية بانشغاله وبسبب إلحاحي وافق على الحضور، كنت حزينة بائسة أشعر بوجع ينهش صدري.

خالد أنت الوحيد الباقي لي من الدنيا، فالجميع تركني ورحل، لا أريد خسارتك، أرجوك ابق مثلما كنت، كان هذا الحديث هو الذي يتردد في داخلي قبل وصوله، وكانت الحاسة السادسة تعمل بكامل طاقتها بداخلي وأن هناك أمرا غير طبيعي سيحدث خلال الساعات القادمة.

وصل خالد وجلس كعادته سأل عن أحوالي، وبعدها صمت، كنت أنا من أفتعل الحديث، بينما هو كان يجيب على قدر السؤال، دائما يقولون من علامات عدم الاكتراث بمن تحب قلة كلامك وسؤالك، وكثرة الحجج التي يفتعلها الطرف الثاني من أجل عدم الجلوس والرحيل، وكل العلامات بادية على تصرفاته، أنا لا أكذب نفسي أبدا.

ومن دون شعور باغته بسؤال كان محبوسا في صدري:

- لماذا تتصرف هكذا، يبدو أنك تريد إنهاء العلاقة؟

صدم من السؤال وطريقة الكلام المفاجئة وقال بارتباك:

- أعتقد أن تبعات الحادث لا تزال تسيطر على حالتك.

ابتسمت بسخرية وقلت:

- الحادث أصبح من الماضي، والحاضر الآن أمامي يتصرف بطريقة يتحين بها الفرص من أجل الهروب.

راح ينظر بصمت، قطعت تلك اللحظات وقلت:

- إذا كان في قلبك كلام قله هذه أفضل فرصة للمصارحة هل تريد إنهاء كل شيء؟

لم ينظر إلي بشكل مباشر وكان يركز نظره على الأرض ثم رفع رأسه وقال:

- عهود أنا لا أعرف المماطلة أو التظاهر بأمور ليست من شخصيتي، وبصراحة كلامك صحيح هذه أفضل فرصة للمصارحة، وصدقيني لم أتخذ

القرار الذي أريد أن أقوله لك إلا بعد تفكير طويل، ولا تعتقدي أن الأمر سهل بالنسبة لي، لكنه الأفضل لنا نحن الاثنان.

عهود لابد من إنهاء كل شيء بيننا.

شعرت بألم قلبي فور انتهائه من جملته، كما قلت لكم الحاسة السادسة كانت تعمل بشكل جيد في هذا الوقت، إنها تصرفاته كانت كلها توحي أن الرجل يريد الرحيل، هنا بكيت من دون شعور، قاطعني في محاولة منه لتهدئة الأمور قائلا:

- عهود صدقيني لن أجد فتاة أفضل منك، لكن أنا وأنت لا نصلح لبعضنا، ولا تعتقدي أنني سأبحث عن غيرك، أنا إنسان غير صالح للعلاقات.

هنا صرخت في وجه قائلة من دون شعور:

- كلكم إذا أردتم الرحيل قلت جملكم هذه، لا أجد أفضل منك، أنت تستحقين الأفضل، نحن لسنا في مسابقة اختيار، إن الأمر يفوق كل ما تقول، إنه شعور يتحكم بنا ولا نتحكم به، هل تفهم ذلك يا خالد؟

انتبهت أنني في حالة انفعال سلبي، وخفت أن يكون عقلي في هذه الأثناء يعمل، ومن الممكن أن أؤذيه في هذا الوقت، فحاولت السيطرة على مشاعري بطريقة ما، ففضلت الصمت.

تحدثت بهدوء غير طبيعي بعد هجومي العنيف عليه قائلا...

- الأمر يفوق تصورك يا عهود، أنا لا أريد أن أؤذيك، أنا إنسان غير صالح للعلاقات الاجتماعية، لابد أن تفهمي هذا الأمر يا عهود، الشرح يفوق قدراتك العقلية.

كنت أمسح دموعي لحظتها، أحاول استيعاب ما يقول ثم قلت:

- أنا أيضا غير صالحة للعلاقات الاجتماعية، لكن رغم هذا اخترتك، والآن أغير حياتي كلها من أجلك، الأمر من أجل من نحب يستحق المحاولة، أنا كما ترى أحاول.

قاطعني بغضب قائلا:

- استمرار علاقتي معك معناها موتك، أنت تستحقين الحياة.

هنا بدأ الأمر يأخذ منحنى آخر، كيف سأموت، وفكرت سريعا، خالد مصاب بمرض معد، أو ما يشابه ذلك؟ ثم سألته:

- هل تعاني من أمراض معدية يا خالد؟ وهذا الأمر يجعلك تفكر في الرحيل؟

هز رأسه بتأفف وقال:

- قلت لك لن تدركي ما أريد قوله، المرة الماضية مرت بسلام، وانتهى الأمر بك للدخول في غيبوبة، وبعض الكسور، أخاف في المرات القادمة أن يحدث شيء أكبر مما تتصورين.

عقدت حاجبي بغرابة، أريد استيعاب ما يريد الوصول إليه وقلت:

- أوضح أكثر، الأمور باتت معقدة كثيرا.

تنهد بحرارة وقال:

- أنا شؤم يا عهود، أي شخص أرتبط به أدمره، أو أجلب له الحظ السيء، وكما تعرفين منذ أن عرفتك، والمصائب لم تتوقف من جهتك، مشكلتك مع زوجة أبيك، ومشكلتك مع جارتك في شقتك الجديدة، والحادث الذي تعرضت له وكاد أن يقتلك، كل هذه الأشياء أنا أعلم جيدا أنها من ورائي أنا...

نظرت إليه بذهول أحاول ترتيب الأفكار في رأسي وأردد هل أنا أحلم أو أنها الحقيقة؟

أكمل حديثه:

- هذا الجانب من حياتي لم تكوني على علم به، وفضلت عدم الحديث عنه حتى لا أخسرك، أنا لدي طاقة عقليه رهيبة، تؤذي أي شخص قريب منها، وتتركز على نوعية انفعالاتي، خاصة إذا كنت حزينا، أو غاضبا، والحادثة الأخيرة، التي جرت بيننا كنت غاضبا منك، وعلى إثرها تعرضت لذلك الحادث الذي كاد أن يؤدي بحياتك، بسبب طاقتي العقلية التي سلطتها عليك وعلى إثرها تعرضت لذلك الحادث.

غير هذا فإنني عشت فترة زمنية سابقة من حياتي مؤلمة، والجميع فضل الابتعاد عني بسبب المشاكل التي أجلبها معي، وكانوا يسمونني الشؤم أو النحس، وعندما عرفتك كنت أريد فتح صفحة جديدة من حياتي، محاولا نسيان الماضي، وكنت أفضل معين لي خلال الفترة الماضية، بل ملأت حياتي بأكملها، ولو بحثت في كل مكان لن أجد أي شخص يشبهك، وكما تعرفين أنا أعشقك بصدق، والذي يحب لا يريد إيذاء حبيبه، وبعد تفكير وصلت لهذا الحل، الذي سأريح به ضميري، خاصة أنني رضيت بقدري هذا، وقررت العيش لوحدي باقي حياتي.

رأسي يؤلمني، هذا الرجل إما يعرف عني الكثير، ويريد إيصال المعلومة لي بطريقة لا يريد إحراجي بها، أو أنه يقول الحقيقة، ومن دون شعور قلت له:

- الهموم على أشكالها تقع، نحن متشابهان يا خالد.

نظر باستغراب وعلامات الاستفهام تقفز من وجهه، قائلا:

- ماذا تقصدين؟

قلت له وأنا أبتسم لتلك الصدفة الغريبة.

- الذي تعاني منه، أيضا أنا أعاني منه، يبدو أن القدر أوجدك في حياتي من أجل شفاء جروحي، أنا أيضا أملك طاقة عقلية غير عادية، أو كما يسمونها التحكم بالأشياء عن بعد، لكن طاقتي تفوق كل التوقعات، وأيضا في حياتي السابقة كانوا ينادونني شؤم، وتعرضت للكثير من الأذى من الناس الذين حولي، واكتشفت أنك الحل الجميل الذي بعثه الله لي، الآن فهمت تلك المقولة، في هذه الحياة ستجد من يشبهك، أنت تشبهني في كل شيء.

قال مستفسرا:

- يعني أنت أيضا تؤذين من حولك؟

هززت رأسي وقلت:

- نعم مثلك تماما، لدي طاقة غير طبيعية، وهناك ناس ماتوا بسبب تلك الطاقة لكن من دون قصد مني لأني لم أكن أعرف ما لدي، وخلال الفترة الماضية تعرفت على شخص متخصص في مثل هذه الأمور، وقد علمني بعض الطرق للسيطرة على هذه الطاقة، والتي تحتاج إلى تدريب طويل حتى أستطيع السيطرة عليها.

وضع خالد يده على رأسه، ثم قال:

- يا لهذه الصدفة غير الطبيعية، معقول أن طاقتنا غير المألوفة قد جذبتنا لبعضنا بعضا، لا أصدق ما يحدث.

قلت له:

- حتى أنا إلى هذه اللحظة لم أصدق ما سمعت منك، يبدو أن أقدارنا ساقتنا لبعضنا بعضا، نحن الاثنان نملك اللقب نفسه، شؤم، وطاقتنا جذبتنا لما نحن عليه.

وطبعا الحكاية مع خالد لم تنته، بل بدأت منذ تلك اللحظة، عندما تعاهدنا نحن الاثنان على التدريب للسيطرة على هذه الطاقة من خلال تواصلنا مع الشخص المختص، وتدربنا بشكل جاد جدا، وها نحن الآن استغلينا هذه الطاقة في أمور أخرى مفيدة جدا.

قبل النهاية، بعد أن سيطرنا على هذه الطاقة التي فينا، تزوجني خالد، رزقت منه بولد وبنت، سميناهما، هيفاء وطارق.

بعد هذا الذي قرأتموه في رأيكم هل نحن الاثنان شؤم؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

رأيت نفسي

دائما الخيال ينقذنا من الواقع

العرق يتصبب من أعلى جبيني، ملمس الأرض حار جدا، أفتح عيناي بصعوبة بالغة، أتفاجأ بتلك الشمس التي تواجهني بأشعتها الغاضبة، أضع يدي على وجهي متحاشية ذلك النور اللاسع، حلقي جاف كأنه جذع نخلة مهمل...

أحاول النهوض لكني لم أستطع، أشعر بدوار في رأسي وثقل كبير، كأن أحدهم صب كتلة اسمنتية عليه، أدرك غرابة الموقف، أردد في نفسي أين أنا؟

ما هذا المكان الذي أنا فيه، يبدو أن هناك شيئا خطأ، هل أنا مخطوفة؟ لا لست كذلك المكان شاسع ومفتوح، ويداي ليست مكبلتين، إذا أين أنا؟ ولماذا أنا هنا؟ كلها أسئلة طرأت على عقلي ولم أجد لها أي إجابة، وكنت ما بين تعبي الشديد الذي أشعر به يخترق كل جسدي، والأسئلة التي تتراكض على رأسي من دون أي إجابة.

نهضت بجسمي النحيل بصعوبة بالغة، حتى أدركت أنني فوق أحد سطوح المباني العالية، ويبدو أنها عمارة عتيقة نوعا ما، السطح ممتلئ ببعض الملابس المنشورة، والحاجيات القديمة المكدسة، وخزان الماء القديم القابع في الزاوية، والعديد من القضبان الحديدية المنتصبة، كلها أشياء تؤكد أنني فوق إحدى سطوح العمارات.

تقدمت بخطوات بطيئة، وشمس الظهيرة الحارقة تدق على رأسي، ناحية إحدى حواف ذلك المكان وما إن وصلت حتى تأكدت أنني فوق السطح عندما أطليت برأسي من أعلى سور سطح العمارة أرى من خلاله مشهدا غير مألوف بالنسبة لي، والسؤال هنا ما الذي أتى بي لهذا المكان؟

كنت أشعر بحالة غير طبيعية، أريد التذكر قبل ساعات أين كنت، وذاكرتي لم تسعفني كثيرا أشعر أن هناك جدارا حاجزا يمنعني من ذلك، والبعثرة التي أنا فيها تؤكد أنني في حالة غير طبيعية جدا.

وهنا بدأت بالبحث عن المخرج الذي من خلاله أنزل من هذا المكان الذي أعتبره غير مثالي بالنسبة لي، لأجد بابا حديديا متآكل الأطراف في وسط المكان، فتحته بصعوبة أشعر أنني خائرة القوى، نزلت من أعلى الدرج بترنح وغير ثبات.

دقائق حتى وجدت نفسي في فناء البناية القديمة، لم أجد أي شخص، وأعتقد أنها فترة الظهيرة، ونحن في منتصف يوليو، وهذا الشهر حار جدا ومن

الصعوبة أن تجد أحدا يخرج في هذا الوقت.

وصلت للشارع الخارجي، وكما قلت لكم الأسئلة لا تزال تدق على رأسي لماذا أنا متواجدة هنا؟ وفوق سطح العمارة بالذات، ومن أتى بي لذلك المكان؟

هنا جاء السؤال الأهم في أي منطقة أتواجد؟ المصيبة المكان شبه خال ولا يوجد أي أحد حتى أستفسر منه، المشهد العام كنت أسير مع لسعات الحر التي تأتي مع الهواء الجاف، لحظة تذكرت هاتفي المحمول، سأتصل الآن بأحد الأصدقاء ليقلني من هذا المكان، أخرجت الهاتف من جيبي وفتحته.

تبا للحظ العاثر الهاتف لا يعمل يبدو أن الإشارة معطلة، أغلقت الجهاز وفتحته مرة ثانية لعل الخدمة تعود لكن بلا أمل، مشيت لفترة ليست بطويلة ما بين تلك العمارات، ولم أجد أي شخص سوى السيارات المركونة أمامها، حتى وصلت لعمارة كان خارجها دكان أو بقالة، دخلت بهدوء لأجد العامل الأسيوي ينظر باستغراب، على ما أعتقد كان منظري الخارجي غير مريح بالنسبة له ويثير التساؤلات أو ربما جديد بالنسبة له، طلبت منه أن يعطيني هاتفه النقال بصوت متعب، لأنني بحاجة شديدة له، وأخرجت هاتفي أوضح له أنه لا يعمل، وأحتاج لإجراء مكالمة سريعة.

كانت علامات الاستغراب والاستفهام بادية على وجه ذلك الرجل الأسيوي، الذي فهم أن الهاتف لا يعمل وفي الوقت نفسه لم يفهم ما هو الجهاز الذي أحمله بيدي، ومن ثم أخرج بعد ذلك هاتفا أرضيا من أمامه وقال لي بلهجة عربية ركيكة:

- إذا كنت تريدين الاتصال استعملي هذا الهاتف.

أمسكت هاتفي المحمول وأخرجت رقم إحدى الصديقات، ثم طلبت الرقم من على الهاتف الأرضي الذي على ما يبدو أنه قديم، حتى أنني استغربت كثيرا وقلت لنفسي، من يستعمل هذه الهواتف في هذا الوقت، بينما نظرات العامل الأسيوي ما زالت لا تخلو من الغرابة وهو ينظر لهاتفي المحمول، لم أكترث له كثيرا، وكل ما أفكر به الآن العودة للمنزل.

صوت غريب أسمعه من الهاتف الأرضي، طوط طوط، كأنه لا يستجيب للرقم الذي أتصل به، حاولت عدة مرات لكني لم أصل إلى نتيجة، رأسي لا يزال ثقيلا، قاطعني هنا العامل الأسيوي قائلا:

- هل تريدين مساعدتك بشيء ما...

نظرت إليه وعلامات الإرهاق بادية على وجهي وقلت:

- أحتاج لسيارة حتى أعود إلى بيتي.

صمت العامل الأسيوي وهو ينظر بنظرة مليئة بالشك، ثم قال:

- في آخر الشارع يوجد مكتب للتاكسي، من الممكن أن يوصلك للبيت.

شكرته بسرعة ثم خرجت بكل سرعتي نحو المكان الذي أشار إليه العامل الأسيوي، وكما تعرفون كنت أسير بترنح وعدم ثبات، والحر كان يفتك بجسدي دون رحمة، وعندما وصلت كان هناك رجل يبدو أنه من جنسية عربية، يجلس وراء مكتب صغير، لم ألق السلام وطلبت منه بشكل مباشر أن يطلب لي التاكسي.

طلب مني الموظف الهدوء وقال لي:

- دقائق وسيصل السائق، إلي أي منطقة تودين الذهاب؟

قلت له بصوت متعب:

- إلى منطقة الجابرية.

ثم سألته قائلة:

- نحن في أي منطقة؟

- نظر إلي الموظف باستغراب، وبعدها أجاب:

- نحن في منطقة حولي.

ثم أشار إلى ذلك المبنى الكبير الذي بجانبه وقال:

- هذا نادي القادسية الرياضي، ولا يوجد أي ناد آخر مثل اسمه في الكويت غير في حولي.

ثم صمت وبعدها أردف كلامه قائلا:

- على ما يبدو أنك متعبة وعلى غير ما يرام.

هززت رأسي بالتأكيد وأحضر لي الموظف كوب ماء ارتشفته بسرعة كبيرة، كأنني كنت تائهة في صحراء واسعة وللتو قد وجدوني، بعدها دخل رجل أسمر البشرة، ليقول لي الموظف:

- السائق وصل يمكنك الآن الذهاب معه وإيصالك إلى بيتك.

تقدم السائق أسمر البشرة أمامي، ومن ثم توجهنا نحو سيارته، ليفتح باب السيارة، كأنها من نوع شفرولية، لكن طرازها كان قديما جدا وعلى ما أعتقد أن هذه السيارات كانت من طراز الثمانينات، لم أكترث، رغم أن هناك أسئلة

كثيرة لا تزال تتقافز في رأسي، أولها ما بال هؤلاء القوم يستعملون أشياء قديمة؟

أعطيت السائق الأسمر العنوان، والذي بدوره انطلق ناحيته، وجلست داخل السيارة الكلاسيكية، أنظر للشوارع التي تبدو شبه خالية، بينما بدأ السائق يثرثر بأمور اعتيادية لعل أولها عن هذا الحر الحارق الذي لا مثيل له، كنت فقط أجيبه بابتسامات أو أهز رأسي:

حتى دخلنا لمنطقة الجابرية ومن ثم توقف السائق أمام أحد المنازل، وقال لي بلهجة عربية واضحة:

- لقد وصلنا للعنوان المطلوب.

بدت علامات الاستفهام على وجهي، وقلت له:

- على ما يبدو أنك أخطأت العنوان هذا ليس بيتي.

أخرج السائق الأسمر الورقة التي دون عليها العنوان، ثم قال:

- لا سيدتي أنا لا أخطئ أبدا فهذا عملي، ومتأكد حتى انظري لرقم المنزل نفسه الذي طلبته.

نظرت لرقم البيت نعم هو، وبعدها دار السائق في الشارع بالسيارة وقال لي مرة أخرى:

- انظري لرقم الشارع إنه نفسه، ونحن الآن في منطقة الجابرية، أنا لا أخطئ أبدا.

كل ما يقول ذلك الرجل سليم جدا، لكن البيت لم يكن هو نفسه الذي طلبته، أي غرابة أنا فيها؟

مددت يدي ناحية جيبي أريد إخراج النقود لأسلمها للسائق، وأعطيتها له.

لكن نظراته لي كانت كلها علامات استفهام وهو ينظر للنقود في يده، ومن ثم ينظر إلي وبعدها قطع حالة الصمت قائلا:

- هل تمزحين معي، إن هذه العملة التي أعطيتني إياها لست بالعملة التي نتداولها في الكويت!!!

نظرت إليه باستغراب وقلت:

- إنها العملة الحالية للبلد، حتى انظر لاسم الدولة واسم البنك المركزي.

ابتسم بسخرية وقال:

- إنها ليلة سوداء على ما يبدو، هل والدك موجود في الداخل.

هززت رأسي بارتباك أحاول ترتيب تلك الفوضى التي تحصل.

تقدم السائق ناحية باب البيت، بينما أنا خرجت خلفه ببطء، ثم دق الجرس ليخرج بعدها رجل على ما يبدو أنه في منتصف الثلاثينات من عمره، وحكى له السائق كل ما حصل معي منذ البداية.

قال له الرجل صاحب المنزل، إنه لا يعرفني ولا تربطه أي صلة بي.

تقدمت في هذه الأثناء ناحيته وقلت له إنه هذا المنزل ملك لوالدي، أحمد عادل، أنا متأكدة من ذلك.

قال الرجل بثقة كبيرة.

- إنني أسكن في هذا المكان منذ 7 سنوات، ولا أعرف أحدا بهذا الاسم.

هنا تحدث السائق الأسمر وهو يطالبني بتسديد قيمة الأجرة، وقفت حائرة لا أعلم ماذا أفعل ومرتبكة في الوقت نفسه، شعرت أنني سأسقط بسبب حالة الضياع التي أنا فيها، ومن دون شعور بكيت، بكيت لأنني لا أملك إلا هذا السلاح في الوقت الحالي، ولا أعرف لماذا كل هذا يحدث معي، وبينما أنا في هذه الحال سمعت صاحب البيت يقول للسائق.

- كم قيمة الأجرة؟

شكرت صاحب المنزل على دفع الأجرة وأكدت له أنني أملك المال، لكن السائق رفض أخذها بحجة أنها غير العملة المتداولة، قال صاحب المنزل بعد أن رأى النقود في يدي:

- بالفعل كلام السائق صحيح هذه النقود لا تتداول هنا، حاولي التركيز واذهبي لبيتك، أنا لا أريد إدخالك في مشاكل، وأريد الستر عليك، ثم تركني وذهب إلى منزله!!

وقفت حائرة أتذكر كلماته الغريبة، هذا الرجل يظن أنني من الفتيات اللعوب، وتعامل معي بهذه الطريقة من باب النخوة والشهامة، اليوم يوم لن أنساه أبدا، ولا تزال الشمس تضربني بكل قوة.

مشيت بعيدا عن منزلي أو منزل ذلك الرجل، لا أعرف إلى أين أسير حتى جلست تحت إحدى الشجيرات أستظل بها من الحرارة، أنظر للناس القليلة التي تسير في هذا الوقت في الشارع، على ما يبدو الساعة الآن هي الرابعة مساء، بقيت جالسة في المكان لأكثر من ساعتين لا أعرف إلى أين أذهب، بينما الجوع بدأ يأخذ مأخذه مني.

الذي أذكره أنه بالقرب مني عدد من المطاعم، سرت بعدما خفت شدة الحر نحو أحد المطاعم التي أعرفها، وعندما وصلت لم أجد شيئا، كان المكان شبه خاو، ولا يوجد أي مبنى، أنا متأكدة من وجود مطعم ومبنى هنا!!، سألت أحد المارة عن المطعم، وأيضا نظر إلي باستغراب شديد لم يفهم ما أقول له.

ما الذي يحدث في أي مكان أنا، تبا للحظ السيء، هاتفي لا يزال من دون إشارة، حتى وجدت مطعما صغيرا بالقرب منه، وطبعا لا أتذكر وجوده، كان المساء يطل برأسه الأسود من بعيد، ومن دون شعور توقفت عند المطعم بمظهري الغريب بالنسبة للناس، وطبعا صاحب المطعم الذي راح يقلبني بنظراته، بينما أنا كنت أتحدث عن وجبتي التي سأطلبها منه، جلست على الطاولة أنظر للشارع، أنتظر في الوقت نفسه طلبي، وأفكر في جميع الأحداث التي حصلت لي دفعة واحدة في هذه اليوم الغريب، حتى جاء الطلب وكان عبارة عن سندويشات، أكلت بشراهة ثم شربت المشروب الغازي، كأنني لم آكل منذ عشر سنوات، بينما نظرات عامل المطعم لم تفارقني أبدا، لم أكترث له ولا لنظراته، كل ما أفكر فيه كيف أتخلص من هذا المأزق.

انتهيت وجلست على الطاولة أفكر ما هي الوجهة القادمة، الجميع لا يعرفني أبدا، هل أستغل سيارة أجرة ثانية وأتوجه بها لمنزل صديقتي أسماء، لعلي أجد لديها إجابات واضحة، وجدت أن الفكرة جيدة، نهضت أريد دفع سعر الوجبة.

وهنا بدأت القصة الجديدة، وفعل عامل المطعم كما فعل سائق التاكسي، ينظر للنقود، ويقول إنها عملة غير حقيقية، لا أدري ماذا أفعل كيف أحل هذه المعضلة مع هذا الرجل؟ بينت له وجهة نظري بخصوص هذا الأمر لكنه لم يستوعب ما أقول، وبين شد وجذب أنهيت الموضوع بجملة واحدة قائلة بعصبية:

- لا أملك سوى هذا المال، غير هذا الكلام لا يوجد عندي.

في هذه الأثناء كان أحد أفراد الشرطة يقف بالقرب منا، لم أكن أعرف أنه شرطي في البداية، لأن ملابسه لا تدل على ذلك، وليست كملابس الشرطة التي أعرفها، وطلب منا الهدوء يريد معرفة ما الذي يحصل.

شرح له صاحب المطعم القصة كاملة، وأعطاه النقود التي يقول إنها غير متداولة، راح الشرطي ينظر إلي بشك كبير، وقال لي:

- سيدتي إن هذه العملة التي تعطينها لصاحب المطعم بالفعل غير صحيحة، ويبدو أنها مزورة.

لم أجبه عن سؤاله، لكنه بعدها طلب مني بطاقتي الشخصية، أخرجتها وأعطيتها له، وطبعا علامات الاستغراب والدهشة لم تخل من نظراته وبعدها قال:

- يبدو أنك تمزحين معي، حتى بطاقتك الشخصية مفبركة، سيدتي هل تعانين من شيء ما؟

شرحت له أنني لا أعاني من أي شيء، وكل ما في الأمر أنكم، لا تتعرفون على كل ما أملك.

بعدها طلب مني أن أذهب معه إلى مخفر الشرطة، وبينت له أنني لا أملك سيارة، لأذهب معه مجبرة، وأردد في نفسي لعل الشرطة توصلني لأهلي.

في قسم الشرطة لم يكن الوضع مختلفا عن سابقه، فنظرات الناس المتواجدة هناك كانت واضحة على مظهري ولبسي، كأنني آتية من كوكب آخر، لم اهتم كما فعلت في السابق، فيما أحد أفراد الشرطة يدون بعض بياناتي وهو يقول:

- بطاقتك الشخصية غير صحيحة، أو بمعنى أصح إنه لا أحد يستعملها هنا.

ثم أخرج بطاقته الشخصية، وقال:

- هذا ما نستعمله حاليا، أتمنى أن تكوني في حالة غير طبيعية حتى تخرجي من هذا المأزق، لأن كل ما تقدمينه لنا، هو عبارة عن أوراق وبطاقات مزورة، وهذا في حد ذاته تهمة، ونحن الآن نقوم بالتحري عن بياناتك.

بينت للشرطي أنها بطاقتي الشخصية وأني لا أملك غيرها، ومددت يدي ناحية تاريخ بداية وانتهاء البطاقة حتى جاءت الصدمة بعدما ضحك الشرطي قائلا:

- بطاقتك تؤكد أنك مجنونة بالفعل، هنا مدون تاريخ إصدار البطاقة عام 2012، وتنتهي عام 2022، ونحن الآن في عام 1987.

بعدها استمر في ضحكه، بينما بقيت سارحة أفكر جليا بما يقول، هذا الرجل أجاب بشكل غير مقصود عن أحد الأسئلة التي تدق في رأسي منذ استيقاظي عندما كنت موجودة فوق سطح العمارة، فالسيارات غريبة الشكل وقديمة، حتى النقود التي أعطيتها لهم رفضوا التعامل معها، والبيت الذي قصدته يؤكد أنه ليس بيتنا.

كل هذه إجابات واضحة وصريحة على أنني في زمن يختلف على زمني الذي أعيش فيه، هل هذا معقول؟، كيف حدث كل هذا؟ هل أنا أحلم أم ما يحصل حقيقي؟

جلست على الكرسي في قاعة الانتظار، أقلب الأمور في رأسي، ما الذي سأفعله وكيف أتعامل مع الموقف هذا، مر أكثر من نصف ساعة وأنا حائرة، هنا قطع لحظات الصمت الشرطي الذي قال لي:

- لا توجد أي بيانات لك لدينا، لا أدري من أي مكان أتيت وما القصة التي تدور خلفك، على العموم ستبيتين اليوم عندنا وغدا سيتم تحويلك إلى المباحث الجنائية لينظروا في أمرك.

كانت كلماته واضحة ومؤشرة على أنني سأتقيد معهم بروتين طويل وممل، بينما هناك أمور لا بد من البحث عنها حتى أجد إجابة واضحة وصريحة لما أنا فيه.

تظاهرت أمامه بالموافقة، بينما كان تفكيري كله بالهروب من مخفر الجابرية بطريقة سريعة، ثم تركني ورحل يطلب من أحد زملائه أن يأخذني للزنزانة الخاصة بالنساء، في هذا الوقت تسللت بهدوء ناحية الباب الخارجي، دقائق بسيطة حتى وجدت نفسي خارج قسم الشرطة، ركضت ناحية الشارع الخارجي، كنت سريعة جدا، وبعد 10 دقائق تقريبا وقفت أمام أحد المستشفيات، ثم تعديت المكان أسير ناحية أحد الخطوط السريعة القريبة من منطقة الجابرية.

لم أكن أعرف ما أريده، هل أوقف سيارة تاكسي، أم أني أسير بمحاذاة الطريق، بدأت المباني والطرق تؤكد أننا بالفعل في عام 1987، لا زحمة، لا سيارات فارهة كما نراه اليوم في شوارعنا، الهدوء يعم المكان، المباني التي حولي تعد قديمة بالنسبة لي، وهناك العديد من المساحات الترابية الشاسعة بسبب قلة المباني، على عكس الوضع الذي كنت أعيش فيه، كل شيء هنا كان قديما جدا، دقائق حتى توقفت إحدى السيارات التي يبدو عليها رياضية، وتعد في وقتها آخر طراز وبالنسبة لي قديمة، وبدأ صاحب السيارة يتراجع للوراء، ثم توقف ونظر إلي وقال...

- كيف لفتاة مثلك تسير في هذا المكان وفي مثل هذا الوقت؟

على ما يبدو أنه من الشباب المعاكسين، لم أرد على أي من كلماته، وبقيت واقفة، وأكمل حديثه قائلا:

- صدقيني قصدي شريف، إذا تحتاجين توصيلة أنا مستعد، ولا أريد منك أي شيء.

كنت أنظر لعينيه التي على ما يبدو أنها صادقة، أو تصورت أنها صادقة، بينما أردد في داخلي، هذا أفضل حل من الممكن أن هذا الشاب سيساعدني، هنا فتحت باب السيارة وصعدت بشكل مباشر من دون أن أتحدث.

فوجئ بتصرفي وظهرت على ملامحه الدهشة كونه كان معتقدا أنني سأماطل كثيرا حتى أركب معه، فهو يظن الآن أنني صيد سهل، وفتاة لعوب، وعند صعودي معه قلت له بشكل مباشر...

- تحرك، لا تنظر إلي كالأبله.

ابتسم ثم حرك سيارته وانطلق في الشارع الواسع.

مرت دقيقتان على ركوبي معه، لكننا لم نتحدث بأي موضوع، كل ما في الأمر نتبادل النظرات بطرف أعيننا لبعضنا بعضا، وقطع حالة الصمت البغيضة قائلا:

- يبدو أن ملابسك موديل جديد للبنات، لم أشاهده من قبل.

قلت بشكل مباغت ومن دون مقدمات.

- هل فعلا نحن في عام 1987

ابتسم معتقدا أنني أمزح معه، ثم قال:

- نعم بالفعل وبالتحديد في شهر يوليو.

فكرت قليلا في كلامه، وبدأت أفكر في كل الظروف التي حصلت لي اليوم، لم أجد أي تفسير سوى ذلك الشيء في عقلي، هو السفر عبر الزمن، لكن كيف حصل هذا، ومن قام بنقلي بهذه السرعة لهذا المكان، لأقطع وصلة التفكير وأقول له:

- أنا مسافرة عبر الزمن.

ابتسم كما هي عادته منذ أن ركبت معه وقال وهو يظن أنني أمزح معه.

- من أي زمن قادمة تلك الجميلة؟

قلت له بعدما أخرجت بطاقتي الشخصية.

- من عام 2019

ثم بعدها أعطيته البطاقة ليقرأ ما فيها، هنا أوقف السيارة بشكل مفاجئ قائلا:

- هذا يعني أنك لا تمزحين؟

قلت له بالفعل لا أمزح ومستعدة أن أقرأ لك الطالع إذا تريد ذلك، لحظة أريد أن أوريك شيئا آخر.

هنا أخرجت هاتفي المحمول، فهذا الشيء لم يكن متداولا في هذا العصر، وجهاز لم يتخيله هو نفسه وأعطيته إياه

بعدها قال وهو يمسك الجهاز بأطراف أصابعه:

- ما هذا الشيء الذي في يدي؟

ابتسمت بعدما شعرت أنني قد نجحت بطريقتي المفاجئة، وقلت:

- هذا هو الهاتف الذي نستعمله في عام 2019، أعتقد أنتم ما تزالون تستعملون الهواتف المنزلية وبعض هواتف السيارة المثبتة.

هز رأسه بالتأكيد، لكني باغته وقلت:

- كل شيء سيتغير في عام 2019، الهواتف المحمولة ستكون ملك الجميع ومن الممكن أن تتحدث من أي مكان حتى لو كنت في وسط البحر، ناهيك عن الأنترنت وتطور التكنولوجيا، ثم صمتّ متذكرة الغزو الذي حدث لبلدنا الحبيب، واقتربت من أذنه وهمست:

- وبعد ثلاثة أعوام ستحدث حرب في الكويت، حرب غريبة جدا.

ابتعد عني وهو يبتلع ريقه لا يزال لا يصدق ما أقوله له.

- اسمي سهاد أحمد مواليد 1982، يعني أنا في هذا العام الذي أتحدث فيه معك مولودة وعمري 5 سنوات، وأتمنى أن تصدق كلامي أرجوك.

قال لي بعد أن ابتلع صدمته:

- لابد أن نقف في مكان ما، حتى تحكي لي كل شيء بالتفصيل الممل.

جلسنا في أحد المطاعم التي على ما يبدو أنها في منطقة السالمية، فالطاولات الصغيرة، وقائمة الطعام القصيرة، والهدوء الذي يعم المكان كلها تدل على أننا في فترة الثمانينات، قال بعد أن انتهينا من أخذ الطلبات:

- ما الذي سيحصل خلال الأعوام المقبلة؟

ابتسمت في وجهه، وبصراحة لم أكن أتوقع سؤاله هذا وقلت:

- أولا سأحكي لك قصتي كاملة وبعدها، سأتحدث عن المستقبل.

وبالفعل قصصت له كل ما حدث لي منذ أن استيقظت فوق سطح العمارة وحتى لقائي به، وما إن انتهيت حتى ظهرت على ملامحه العديد من علامات الدهشة والذهول، تؤكد أنه غير مصدق الوضع الذي هو فيه، كونه يجلس مع شخص قادم من المستقبل.

لحظة هناك معلومة مهمة الشخص الذي يجلس معي الآن يدعى فهد، ويبلغ من العمر 20 عاما، كما قال لي،غير متزوج ويسكن مع والدته، بعد وفاة والده قبل أقل من عام.

ولم نكتف بهذا الحديث بل حكيت له أغلب الأحداث التي ستحصل في المستقبل، والتطور العلمي الكبير الذي سيجتاح المنطقة، والمصائب التي ستحصل هنا، وغيرها من الأمور، قاطعني هنا وقال...

- أنا شخص أعشق مثل هذه الأمور ودائما ما أقرأ عنها، ولابد من إيجاد طريقة حتى تعودين لعالمك المستقبل، لكن هل تتذكرين كيف وصلت لهذا الزمن؟

هذا السؤال هو الشيء الوحيد الذي يتوقف عنده عقلي ولا أستطيع الإجابة عنه، كما قلت لكم أشعر أن هناك حاجزا إسمنتيا يعطل كل حواسي عندما أصل لهذه النقطة.

وعدني فهد أن يبذل قصارى جهده من أجل مساعدتي، وفي هذه الأثناء طلبت منه طلبا يعد غريبا لكن لابد من أن أعرفه.

- أريدك أن تبحث عن عنوان هذا الشخص اسمه أحمد عادل، فهو يعمل الآن في المستشفى الأميري، وأريدك أيضا أن تجلب كافة المعلومات عنه، أما طلبي الأخير أن أجد مكانا يؤويني حتى أجد طريقة من خلالها أعود إلى زمني، فكما تعرف الشرطة في الوقت الحالي تبحث عني.

كما هم شباب هذا الزمن، وعدني قائلا سأقف معك حتى آخر رمق، أما عن المكان فستبيتين في ديوانية منزلنا، والدتي امرأة كبيرة في السن ولا تستطيع الوصول إلى هناك، وسأقول لها إن صديقي ينام عندي، فأمي لا تركز على مثل هذه الأمور.

بصراحة لم يعجبني مكان المبيت، لكن ما باليد حيلة، ليس أمامي سوى القبول، وانطلقنا نحو بيته، ورحنا نحن الاثنان نبحث ونتقصى عن جميع الحقائق، وخلال يومين أتى فهد بعنوان سكن والدي، الشخص الذي كما قلت لكم يدعى أحمد عادل، والذي يسكن في منطقة الشامية في هذا الوقت، وطلبت منه أن نقوم بزيارة شخصية له.

وحصل ما كنت أريد، وانطلقنا بالسيارة، بعدما اتفقنا على طريقة من خلالها نستطيع الدخول إلى بيته من دون أن نثير الشك أو الريبة، والتي ستعرفونها بعد قليل...

خرج لنا شخص طويل القامة ذو جسم رياضي، وشارب بارز وعينين واسعتين، قال له فهد:

- نأسف على الإزعاج، نحن صحفيان ونقوم حاليا بعمل تقرير خاص عن المواليد، وما هو رأيك هل نحتاج عملية تقنين للمواليد، أم أننا بحاجة لثورة سكانية؟

هز والدي أو أحمد، رأسه لأني أعرف والدي يحب مثل هذه الأمور، فأتيته من حيث يريد، وأدخلنا صالة منزله الصغير، وبعدها بدأ يتحدث عن وجهة نظره.

وقال أنا متزوج منذ 5 سنوات، ولدي بنت واحدة فقط.

هنا خفق قلبي وقاطعته قائلا...

- لماذا لديك فقط بنت؟ هل تعانون من عارض صحي يمنعكم من زيادة عدد أفراد الأسرة؟

قال بهدوء:

- لا نعاني من أي شيء وهذا رزق من الله، ولكن أنا وزوجتي لا نريد تكديس الأبناء حتى لا تزيد المسؤوليات فنحتاج بعضا من الوقت حتى نستطيع السيطرة عليهم.

هنا قاطعني فهد وقال، إذا ممكن تطلب وجود ابنتك، حتى نستطيع التقاط صور لها.

لم يمانع والدي، وما هي إلا دقائق حتى جاءت فتاة صغيرة تبلغ من العمر 5 أعوام، ذات شعر ناعم قصير، تسير بخجل، أمسكت بها وابتسمت لها، وقلت بهدوء ما اسمك أيتها الصغيرة؟

قالت بحياء الأطفال:

- اسمي سهوده الحلوة "يعني سهاد".

لكم أن تتخيلوا الصدمة التي اجتاحت روحي، نعم هذه الفتاة هي أنا في الماضي، أنا محظوظة، لقد رأيت نفسي عندما كنت صغيرة وجلست معها، بعدما تهت في عالم الأزمان.

انتهى اللقاء، ولا أنكر أنني قد بكيت عندما شاهدت عائلتي، في بداية حياتهم، وكيف كانت الأمور صعبة بعض الشيء صعبة بالنسبة لوالدي، حتى أنني همست لوالدتي التي كانت تقول لنا من خلال اللقاء إنها تدرس الآن ومحتارة ما بين إكمال دراستها أو الاكتفاء إلى هذا الحد.

لكني قلت لها أكملي ستصبحين طبيبة ناجحة في مجال علم النفس.

وهذا ما حدث لوالدتي بالفعل فهي سيدة متخصصة في مجالها ومشهورة جدا...

بعد انتهاء الزيارة، شعرت أن شجوني قد فاضت، وشعرت أيضا بالحنين للرجوع إلى عائلتي فالأمر لن يتوقف عند هذا الحد، خاصة أن فهد لا يزال يقرأ ويبحث في موضوع السفر عبر الزمن، ووصل إلى طريقة من الممكن مساعدتي من خلالها بالعودة مرة أخرى إلى زمني الطبيعي.

- كل ما أريده منك الآن الذهاب إلى المكان الذي وجدت نفسك فيه، لأنه كما يقول قد وصل لطريقة ربما تنجح معنا على حسب ما قرأ، خاصة أن الكتب في هذا الشأن لدينا قليلة، والمعلومة من الصعب الوصول إليها، ابتسمت في وجهه وقلت:

- عالمكم ليس لديه العم غوغل أو برنامج اليوتيوب، الذي من خلالهما تحصل على المعلومة وأنت تجلس في بيتك.

راح ينظر إلي باستغراب كالعادة فهذه المصطلحات غريبة بالنسبة له، وبعدها شرحت له هذه الأفكار التي ستغزو العالم في المستقبل.

ذهبنا لذلك المكان الذي وجدت نفسي فيه أول مرة، وصعدنا للسطح بخفة شديدة حتى لا يكتشفنا أحد.

حدثت فهد عن المكان الذي وجدت نفسي فيه، والحالة المزرية التي كنت فيها، كنا ندور في المكان نبحث لنا عن أي شيء من الممكن أن يساعدنا، على إيجاد وسيلة حتى أستطيع من خلالها العودة مرة أخرى إلى زمني، وكما قلت لكم لا يزال هناك حاجز فولاذي، يقف حائلا أمام ذكرياتي فكل ما أعرفه عن نفسي، هو أنني اسمي سهاد قادمة من المستقبل، وغير ذلك يتوقف كل شيء، لا تفاصيل كافية عني، ومن الصعب إيجاد أي شخص في هذا الزمن يعطينا أي معلومات عني، فلا أحد يعرفني في هذا الوقت.

كانت خيبة الأمل كبيرة بالنسبة لنا نحن الاثنان، ففهد إنسان بسيط لا يزال يدرس في الجامعة، ومعلوماته غير وفيرة بتاتا، وأصبح يهتم بالكتب والمراجع بشأن السفر عبر الزمن من أجلي، لكنه لم يصل إلى أي نتيجة ما، مر أكثر من أسبوعين، وأنا تائهة لا أعرف ماذا أفعل، أنام في ديوانية فهد، وأغلب وقتي أشاهد التلفاز، أما خروجي فكان قليلا جدا، بسبب خوفي من الإمساك بي، فأنا الآن مطلوبة بالنسبة لهم.

كنت دائما أقول لفهد يبدو أنني علقت في هذا الزمن، ولا سبيل لعودتي مرة أخرى، لابد من الوصول لطريقة أعيش بها، وفي الوقت نفسه كنت أشعر بإحباط شديد، أنا لا أنتمي لهذا المكان، أشياء عديدة تتصارع في نفسك،

عندما تعرف أنك موجود في الزمان الخطأ، رغم أن كل شيء في هذا الوقت كان بسيطا وعفويا، على عكس زمننا الصاخب.

بعد شهر من كل هذا حدث شيء، قلب كل الموازين عندما كنت جالسة في الديوانية أشاهد التلفاز وقت الظهيرة، في انتظار فهد الذي ذهب إلى الجامعة كانت المفاجأة بالنسبة لي عندما أحسست أن أحدا يتحرك أمام باب الديوانية، فشعرت ببعض الخوف، ثم بعد ذلك سمعت صوت أم فهد تناديه وهي تتقدم ناحية الباب، لم أكن أعرف كيف أتصرف لم يكن هناك أي مكان أختبئ فيه، حتى وقعت عيني على فتحة التكييف التي كانت مغلقة بقطعة خشبية خفيفة، خاصة أن فهد بات يستعمل وحدة تكييف جديدة، لكنه لم يغلقه فتحت التكييف ذا الطراز القديم، بسرعة كبيرة فكرت باقتلاع القطعة الخشبية، معتمدة على بطء حركة أم فهد، وبعد محاولة سريعة وقوية في الوقت نفسه، استطعت اقتلاعها، لكني في هذه الأثناء جرحت يدي، ومن ثم قفزت من داخل الفتحة للجهة الثانية من المكان، هنا واجهت عائقا آخر فالمكان في الجهة الأخرى كان عاليا والأرضية أغلبها إسمنتية، لم يكن لدي أي وقت للتفكير سوى أنني أقفز بكامل قوتي، حتى وقعت على رأسي وأغمي علي من قوة الاصطدام.

ولم أصح إلا على ابتسامة فهد، الذي قال لي بشكل مباشر:

- أي مجنونة تقوم بفعلتك، كيف تتصرفين هكذا لماذا قفزت للجهة الأخرى، بصراحة توقعتك ميتة، الحمد لله أن الأمور وصلت لهذا الأمر.

في هذا الوقت كان هناك شيء مختلف في عقلي، شعرت أن تفكيري كله قد تغير خاصة نظرتي للأمور، لم تعد كما كانت في السابق وبالتحديد قبل قفزي من فتحة التكييف، ثم بعد ذلك قلت لفهد بطريقة سريعة:

- أنا دكتورة يا فهد.

راح ينظر إلي باستغراب غير مدرك ما قلت، ثم أكملت:

- الحاجز الفولاذي الذي كنت أشعر به في رأسي قد تلاشى يا فهد، الآن بدأت أعرف من أنا، وكيف وصلت لهذا المكان.

هنا فهد بدأ يفهم مقصدي، لكني لم أعطه أي فرصة وأردفت حديثي:

- يبدو أنني كنت بحاجة إلى صدمة نفسية، تحطم ذلك الحاجز الذي كان يقف حائلا دون تذكر كل شيء، ويبدو أيضا أن التجربة التي قمت بها قد مسحت شيئا كبيرا من الذاكرة وجعلتني أصاب بفقدان الذاكرة المؤقت، وكنت قبل وصولي لهذا المكان، أقوم ببعض التجارب الخاصة بالسفر عبر الزمن، وكانت إحدى هذه التجارب...

قاطعني فهد قائلا:

- لا تتحدثي بهذه الطريقة أريد أن أفهم بهدوء.

قلت له بحماس شديد:

- أعلم جيدا أنك لن تفهم ما أقوله الآن، أنا يا فهد عالمة ودكتورة في الوقت نفسه، كنا قبل عامين نقوم بتجارب خاصة مع بعض الزملاء المهتمين بهذا الشأن، وكان هناك العديد من الداعمين الذين مولونا بالأموال لإنجاح هذه التجارب والوصول لطريقة نستطيع من خلالها السفر عبر الزمن، لكن كل التجارب التي قمنا بها قد فشلت فشلا ذريعا، الأمر الذي جعل أغلب أفراد المجموعة يتخلون عن هذه الفكرة بسبب صعوبتها، خاصة أن الممولين لنا أصبحوا فاقدي الثقة بنا، إلا أنا التي رفضت الاستسلام، وكرست كل جهدي من أجل تحقيق النجاح، وقمت بالعديد من الأبحاث والتجارب لوحدي، طبعا مررت بالعديد من المصاعب والتجارب الفاشلة التي كادت أن توصلني للجنون، وكانت التجربة الأخيرة التي قمت بها هي الناجحة، لكنها نقلتني بشكل سريع لهذا الزمن، وقد جمدت أغلب ذكرياتي وهذا الشيء الذي لم أفهمه أبدا.

قاطعني فهد وقال:

- وما هي الطريقة التي اكتشفتها وقد أوصلتك لما نحن عليه الآن.

أجبته بحماس...

- أغلب أبحاثنا كانت تركز على سرعة الضوء وكنا وقتها نحتاج طريقة نسبق بها سرعة الضوء، والتي من خلالها يتباطأ الزمن بعد ذلك، هذه نظريات علمية معقده، وهي من ضمن النظرية النسبية التي اكتشفها العالم انشتاين، طبعا حتى الآن العلماء لم يصلوا لطريقة ثابتة وعلمية تنقلنا للسفر عبر الزمن، وربما هناك دول قد استطاعت إيجاد طريقة للسفر وخبأت هذا الأمر وجعلته أمرا سريا لا تريد الكشف عنه.

طبعا بات تركيزي على موضوع ضعف الجاذبية، هناك أجزاء عديدة من الأرض يوجد فيها ضعف بالجاذبية يمكنك من خلاله إيجاد ثغرة أو ثقب تنجذب بسرعة هائلة تفوق سرعة الضوء، وهو الأمر الذي يجعلك تنتقل إلى زمن آخر كالثقب الدودي الموجود في الفضاء، لكن هذه الثقوب موجودة على الأرض بشكل مخفي وتعتمد على ضعف الجاذبية، طبعا كل هذا لم يكن من محض الصدفة، بل هناك أبحاث ومعادلات معقدة قمت بها قبل القيام بهذه التجربة،

حتى أؤكد لك، العمارة التي وجدت نفسي فيها عام 1987، هي نفسها العمارة التي يقبع فيها مكتبي الخاص الذي من خلاله أقوم بأبحاثي في عام 2019،

فانتقلت بسرعة هالة بشكل عكسي لهذا الزمن تغير كل شيء حولي لكني كنت أقف في المكان نفسه لكن في زمن آخر، وأعطيك معلومة أخرى هذه العمارة ستهدم وستبنى عمارة جديدة، كل ما أحتاجه الآن الذهاب لذلك السطح والقيام ببعض المعادلات الفيزيائية الدقيقة التي من خلالها سأعود لزمني الحقيقي.

ظل فهد ينظر إلي وعلامات الدهشة بادية على وجهه، ثم أكملت حديثي:

- فهد أحتاج بعض الأشياء التي من خلالها سأقوم بتجربة العودة مرة أخرى للزمان الحقيقي.

جلب لي فهد كل شي طلبته منه، وقمت ببعض التجارب البسيطة قبل الذهاب لسطح العمارة تلك، وبعد أسبوع من كل هذه التحركات حان موعد القيام بالتجربة التي سأقوم بها، وفي تلك الليلة كنت جالسة مع فهد وقلت له:

- من الممكن أن تجربتي ستنجح وأعود مرة أخرى لعالمي الحقيقي، ويبدو أنك يا فهد من الناس المحظوظين، سأعطيك بعض النصائح الخاصة التي من الممكن أن تفيدك في المستقبل.

وبعدها تحدثت له عن الأمور التي ستحدث في المستقبل ونصحته بأن يستثمر هذه المعلومات لكي يسبق زمنه، وينتهز الفرص، ثم دونت اسمه بالكامل عندي.

ذهبنا في ذلك الصباح إلى ذلك الموقع الذي كنت قد وجدت نفسي فيه في البداية، وقمت بعدها بتجهيز كل المعدات التي توفرت وكنت أعلم أنها ستقوم بالغرض نفسه، ومن ثم تقدمت ناحية فهد وقلت:

- أشكرك من صميم قلبي على كل ما قمت به من أجلي، لن أنساك يا فهد ما حييت، ولا تنسى تلك النصائح التي قلتها لك، أنت ستكون سابق عصرك، وبالمناسبة لا تقترب نهائيا من الدائرة التي سأحددها لك حتى لا تنجذب من خلال ذلك الثقب، وتأتي لمستقبلي، إلى اللقاء يا فهد سأراك في المستقبل.

ابتسم فهد لي ورأيت علامات الحزن بادية على وجهه ثم قال:

- حظيت بتجربة رائعة وصدفة جميلة، إلى اللقاء يا سهوده الحلوة.

ابتسمت له أيضا بحزن وودعته.

جلست بهدوء داخل الجهاز الصغير الذي صنعته، ثم أغلقته على نفسي ثم بعد ذلك بدأ بالدوران السريع الذي شكل تيارا هوائيا هائلا، دقائق حتى انتهى كل شيء، واستيقظت هذه المرة في مكتبي وأنا أشعر بدوار كبير في رأسي،

وتعب شديد، أحاول إدارك ما يحدث، كانت تلك الأعراض نفسها التي شعرت بها حين استيقظت فوق سطح العمارة، لكن هذه المرة في عام 2019.

لم يكن وضعي الصحي جيدا لفترة من الزمن خاصة أن التجربة كانت متعبة، حتى أنني وجدت كاميرا تصوير قمت بتحضيرها لتصوير المشهد في التجربة الأولى ووثقت كل شي، والتي أكدت نجاحها بشكل باهر، بعدما اكتشفت مواقع عديدة لذلك الثقب الدودي الذي يتواجد في العديد من المواقع على الأرض بأماكن تكون فيها الجاذبية ضعيفة جدا.

بالفعل كانت تجربة جميلة جدا ومخيفة، لم أندم أبدا وكنت فخورة جدا بنفسي، حتى أنني تذكرت تلك اللحظات السعيدة التي رأيت فيها نفسي في زمن آخر.

ولم أنس فهد أبدا، بل رحت أبحث عن فهد في هذا الزمن من خلال معارفي الذين يعملون في المعلومات المدنية واستخرجت كافة المعلومات عنه، وعرفت أنه رجل أعمال من أعلى طراز في البلد ويملك العديد من الشركات الخاصة بعالم التكنولوجيا، وعرفت مكان شركته، وطبعا لم أفوت فرصة الذهاب إليه.

كانت السكرتيرة جميلة وأنيقة تجلس خلف مكتبها، عرفتها بنفسي وقلت لها:

- هل الدكتور فهد موجود.

ابتسمت وقالت:

- موجود... انتظري قليلا فهو مشغول الآن.

لم أعطها فرصة وتقدمت ناحية مكتبه الخاص ثم فتحته، والسكرتيرة من ورائي تحاول منعي من التقدم، ولم أعطها أي فرصة بعد أن أغلقت الباب خلفي بكل قوة، لأرى أمامي رجلا في منتصف الأربعينات ذو لحية خفيفة وجسم رياضي.

ابتسمت في وجه بهدوء، بينما هو ظل ينظر إلي بشرود، كأنه يحاول تذكر شيء ما، ثم قلت له بابتسامة هادئة

- يبدو أنك نسيت سهودة الحلوة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

ذهول

لكل شخص منا قصة غريبة،

ولن يموت حتى يعرفها

دائما ما كنت أسأل نفسي سؤالا وحيدا، لماذا حياتي تختلف عن الأخريات من البنات اللواتي في مثل عمري؟ لماذا أعيش في هذا المنزل الكبير، دون أن أعرف أي شيء عن الحياة خارج حيطانه، هذه الأسئلة دائما ما تطرق عقلي في هذا العمر الآن بعد وصولي للسابعة عشر.

أدعى غالية وحيدة والداي، حياتي كما ذكرت سابقا مختلفة بتاتا عن حياة جميع من حولي، فأنا لم أخرج في حياتي من هذا المنزل، فحدودي هي الحديقة الخارجية فقط، أما عن الناس فلا أعرف سوى أبي وأمي، هما الشخصان اللذان تواصلت معهما من البشر غير ذلك فلم أتحدث مع أي مخلوق آخر، أعلم أنكم لن تصدقوا ما أقول لكن هذا بالفعل الذي عشت فيه طوال الفترة الماضية، وكالعادة ممنوع طرح أي أسئلة بشأن هذا الموضوع مع والدي.

بعضكم الآن يتساءل، كيف أمضيت حياتك طوال الفترة الماضية في مثل هذه الظروف، تخيلوا أنني ممنوعة من الخروج، حتى الزيارات العائلية وغير العائلية ممنوعة منها، ففي أي مناسبة يتم حبسي داخل إحدى الغرف الكبيرة، ولا أخرج حتى يغادر الزوار، إضافة إلى أنني لم أذهب إلى المدرسة يوما ما، كان كل تعليمي في المنزل من خلال مدرسين كانوا يقومون بتعليمي منزليا، حتى في حال مرضي كان الأطباء يزورونني في غرفتي، الخروج ممنوع علي بشكل نهائي.

ذات مرة سألت والدتي لماذا تتعاملون معي بهذه الطريقة، طبعا في البداية كانت تتهرب من السؤال وبعد إلحاحي، قالت إنني أعاني من مرض نادر، عبارة عن ضعف في المناعة فأصاب بالعدوى بشكل سريع في حال اختلاطي مع الناس، لا أنكر أنني صدقت كلامها في البداية، ومع مرور الوقت بدأت أفكر جيدا، وقلت لنفسي كيف تقول إنني مريضة، وأنا أعيش معهم بصحة جيدة ولا أذكر أنني تعرضت لتعب غير اعتيادي، وكل الأمراض التي أعاني منها تقليدية كالأنفلونزا والبرد وغيرها من الأمراض الموسمية.

نعم كل هذه الأشياء كانت تدور في ذهني، ولا أجد لها أي إجابة، أمور تمر مرور الكرام كما هي حياتي المغلقة، عندما كنت صغيرة كنت لا أدقق كثيرا، لكن الآن الوضع مختلف جدا، من الصعب العيش بهذه الطريقة باقي حياتي.

في أحد الأيام دخلت في مشاجرة كبيرة مع والدتي بعدما طلبت منها الخروج في نزهه لمدة نصف ساعة على الأقل، فمشاهدتي للعالم الخارجي من خلال شاشة التلفاز أو من خلال جهاز الأيباد الذي ابتعته مؤخرا، وهما الوسيلتان اللتان أرى العالم من خلالهما غير ذلك لا يوجد شيء، ولا أنكر أن كل شيء متوفر لدي، لكن ما فائدة هذا كله، وحياتك أشبه بعيشة طائر في قفص يأكل ويشرب وينام وينظر في الوجوه، حتى أنني شعرت بحالة من عدم الثقة بنفسي، خاصة أنني كنت أتواصل مع بعض البشر في بعض مواقع التواصل الاجتماعي، وأغلب علاقاتي تصاب بالفشل بسبب طبعي غير الاجتماعي.

تلك المشاجرة جعلتني أخرج عن هدوئي المألوف وباتت فكرة الخروج هي المسيطرة على كل تفكيري، خاصة أن والدتي أفهمتني أن فكرة الخروج من حدود المنزل مستحيلة ولا يمكن أن تحصل إلا بعد وفاتهما، طبعا كل هذا جعلني أفكر لماذا والداي مستميتان كل هذه الاستماتة في موضوع عدم خروجي، هنا قررت بيني وبين نفسي إيجاد طريقة لمشاهدة هذا العالم، ما ينقصني شيئان الجرأة والتنفيذ، الجرأة هي أساس متعة الحياة.

كنت دائما أردد في داخلي أن وضعي الحالي يذكرني بإحدى قصص أفلام والت دزني التي حفظتها عن ظهر قلب، بسبب مشاهدتي المكررة لها في حبسي الأنيق، وبالتحديد قصة رابنزيل، تلك الفتاة الرقيقة ذات الشعر الطويل، التي أوهمتها والدتها بعد أن حبستها في أحد الأبراج العالية أن الحياة في الخارج بشعة ويوجد فيها العديد من الوحوش التي ستنقض عليك في حال خروجك، نعم كانت هذه الفكرة التي يريدون إيصالها لي وزرعها في عقلي، العالم في الخارج بشع، لا يمكن لفتاة رقيقة مثلي أن تحتمل تلك البشاعة.

في هذه الفترة لم تفارق مخيلتي فكرة الهروب، دائما ما أدخل للعديد من المواقع، أدقق في الحياة الخارجية من خلال مشاهدتي لتلك المقاطع المصورة أو الصور، أردد في داخلي متى أختلط بهؤلاء البشر؟

أعددت العدة ورسمت خطة بسيطة على حسب إمكانياتي، وكنت أعلم أن والدي الكبيرين في السن ينامان في وقت مبكر، وحددت ساعة الخروج التي كانت عند العاشرة مساء، وبعدها أعود عند الواحدة فجرا، ومن دون أن يشعرا.

وجهزت كل الأشياء التي سأحتاجها ولعل أهمها كان المال، وطبعا لم تكن هناك أي تحصينات من قبل والدي اللذين كانا يثقان بأنني لست من تلك الفتيات اللواتي لديهن روح المغامرة، ظنا منهما أن تربيتهما لي قتلت فيّ كل شغف في الحياة.

كل هذا الآن أصبح في حكم الماضي، بعدما خطوت أولى خطواتي خارج المنزل، وكنت أرتدي وقتها لباسا رياضيا، وأسير في منطقة كيفان الكبيرة، ولا أعلم إلى أين أسير؟ المارين في الشارع كانوا يظنون أنني أمارس رياضة المشي، بسبب ما أرتدي، وفي الحقيقة أنا كنت شبه تائهة لا أعلم إلى أين أذهب، حتى وقعت عيناي على مبنى كبير، وعندما اقتربت منه علمت أنها الجمعية التعاونية للمنطقة، لا أخفي عليكم فالمنظر قد أصابني بالذهول، لا تلوموني فهي المرة الأولى التي أرى أماكن مثل هذه، سيارات مركونة، وحركة ناس وأضواء إعلانات المحلات، كلها أشياء جعلتني أشعر ببعض من الدهشة.

وتقدمت ناحية مواقف السيارات، ورحت أدقق على السيارات حتى رأيت إحداها التي كتب فوقها سيارة أجرة، انطلقت نحوها بكل جنون، كأنني غريقة للتو وجدت الشاطئ، أوقفت السائق الذي كان أسيويا وقال لي بلهجته العربية الركيكة:

- أين تريدين الذهاب؟

في البداية لم أحدد وجهتي، سكت قليلا، ثم قفزت في مخيلتي أبراج الكويت، ومن دون شعور قلت له أريد الذهاب إلى هذا المكان.

نعم كم كنت أتمنى زياراتها واليوم أنا أمام فرصة ذهبية، شبعت من الصور ومقاطع الفيديو، أريد أن أرى تلك الأبراج الشامخة أمامي، وبالفعل ما هي إلا دقائق حتى وجدت نفسي أمامها.

كنت أسير بغير هدى رافعة رأسي عاليا، أعانق بنظري أعلى ما فيها، المنظر العام كان جميلا، هدوء وسكينة، المكان غير مزدحم بتاتا، جلست على أحد الكراسي، وبدأت بتأمل كل الأشياء التي حولي، هناك بعض من الناس الذين كانوا يسيرون بهدوء، فتذكرت كلمات والدي عنهم الذي وصفهم بأبشع الألفاظ، لكن لم أجد سوى بشر هادئين حتى أنهم غير مكترثين بوجودي.

ألتفت خلفي لأجد ذلك البحر الواسع، الذي كان يتلألأ من أضواء القمر، مناظر خلابة أسرت فؤادي، تقدمت لأجد قدمي تداعب رمال البحر الناعمة والدافئة، وكلما اقتربت كنت أسمع هدير الموج، وهذه المرة الأولى التي أسمع فيها صوت موسيقى الطبيعة، جلست في هذا المكان لأكثر من ساعة، أدقق النظر في الماء وتموجاته، بأصواته، بالمدى الشاسع لهذا البحر، لا تلوموني كنت حقا متلهفة، وغير مبالية بكل ما حولي، لا أريد أن تفوتني تلك اللحظات الجميلة.

بعد مضي ساعتين أدركت أن الوقت قد سرقني، نظرت لساعتي الصغيرة، لأجدها الواحدة فجرا، نهضت مسرعة ناحية المكان الذي أنزلني فيه سائق سيارة الأجرة، ووقفت منتظرة مرور سيارة أخرى، مر الوقت سريعا ولم تمر أي سيارة أجرة، كل السيارات التي مرت عادية، أعتقد أنني انتظرت أكثر من ساعتين إنها الثالثة فجرا، ومن الصعب مرور تلك السيارات في هذا الوقت، لا أملك سوى الانتظار حتى الصباح، لم أجد أمامي سوى الجلوس على أحد الكراسي الصغيرة، جلست في هذا الوقت ولا أخفي عليكم كنت خائفة، فالمكان الذي كان منذ لحظات جميلا، تحول خلال دقائق إلى مكان موحش، لا أدري ماذا أفعل لا أملك أي حيلة أو تدبير، إنها حالة الاعتياد التي عشت فيها في منزلي، جعلتني لا أتقبل هذا المكان.

بعد مرور الوقت، بدأ النعاس يداعب جفني، فكما قلت لكم، فأنا في مثل هذا الوقت دائما ما أكون تحت غطاء لحافي الدافئ، وغارقة في نومي العميق، لم أقاوم كثيرا، حتى تمددت على الكرسي الطويل، ليتغلب علي النوم بكل جدارة، ولا أشعر إلا بصوت خشن، وهو يوقظني:

- لماذا تنامين في هذا المكان؟

فزعت ونهضت مباشرة، لأجد أحد أفراد الشرطة، ينظر إلي بحدة قائلا:

- ممكن بطاقتك الشخصية؟

بقيت صامتة، لا أعرف ما أقول فأنا لا أملك أي بطاقة، وكرر السؤال الأول مرة أخرى.

- لماذا تنامين في هذا المكان وفي هذا الوقت؟ هل أنت هاربة من شيء ما أو تتعاطين؟

ثم اقترب من وجهي يشتمّ رائحتي، وأكمل حديثه؟

- لماذا ليس لديك أي إثبات يدل على هويتك؟

طبعا استمر بإمطاري بالأسئلة التي لم أجب على أي منها، فقط كانت ملامح الذعر والخوف مرسومة على وجهي، وفي الأخير طلب مني ركوب سيارة الشرطة التي كانت أنوارها الملونة تنتشر في المكان.

في قسم الشرطة جلست في إحدى الغرف الصغيرة على أحد الكراسي الجلدية السوداء، وبجانبي كأس من الماء، أرتشف منه ما بين الحين والآخر، بينما الشرطي الذي أقلني لا يزال يمارس أسئلته التي لم أجد لها أي إجابة، إضافة إلى حالة الارتباك والتوتر التي كانت علي، فكما قلت لكم أنا لست

اجتماعية ولا أعرف كيف أتعامل في مثل هذه الظروف، في هذا الوقت كان نور الصباح قد غطى المكان، من خلال النافذة الصغيرة التي خلفي.

بعدها جلست لوحدي لمدة ساعة، ثم دخل علي شرطي آخر، لكنه كان أكثر هدوءا من سابقه، وتلوح من شفتيه ابتسامة مريحة، قال لي:

- نحن في هذا المكان نريد المساعدة، كل ما أريده الآن معرفة اسمك.

رددت عليه بصوت خافت:

- أدعى غالية.

ثم قال جميل اسمك يا غالية، وبدأ يأخذ مني بعض المعلومات عني، وفي الأخير سألني أحد أسئلة زميلة السابق:

- لماذا كنت تنامين على ذلك الكرسي في هذا الوقت؟

ابتلعت ريقي قليلا ثم قلت له:

- بصراحة كنت هاربة من منزلي.

قال وهو يدون كلامي:

- هل تعانين من مشاكل أسرية، استدعت هروبك؟

قلت له بصوت مرتبك بعد أن أخذت تنهيده طويلة:

- لا أعاني من أي مشاكل، كل ما في الأمر أن والدي كانا يمنعاني من الخروج من المنزل، وهذه المرة الأولى التي أرى فيها العالم الخارجي.

توقف عن الكتابة بعد سماعة الإجابة، شعرت للحظة أنه لم يستوعب كلماتي ثم قال:

- حتى الآن لم أفهم معنى ما قلته بشأن أنك لم تري العالم الخارجي، ولا أعتقد أن هذه المرة الأولى لك التي تخرجين فيها وأنت في هذا السن.

هززت رأسي وقلت:

- أعلم أنك لن تصدق، لكن هذه المرة الأولى في حياتي التي أخرج فيها خارج حدود منزلي.

صمت قليلا، وأعتقد ظن أنني أعاني من خلل عقلي ثم قال:

- سنستدعي والدك بعد قليل ونتحرى عن تلك المعلومات التي قلتها، كل ما أريده منك الآن الهدوء، وصدقيني ستعودين لمنزلك، كما قلت لك نحن هنا لحمايتكم.

لا أنكر أنني كنت خائفة أو محاصرة بالخوف، من المكان ورهبته فأنا طوال حياتي لم أدخل هذه الأماكن المليئة بالطاقة السلبية، أما الخوف الآخر الذي كنت أعاني منه هي ردة فعل والدي، وكيف سيتعامل معي عند عودتي للمنزل، ثم بعد ذلك أعطيت الشرطي رقم هاتف والدي.

مضى وقت طويل وأنا جالسة في تلك الغرفة، حتى دخل علي أحد أفراد الشرطة وهو يحمل وجبة غداء، لم آكل وقتها الكثير، بسبب الحالة النفسية التي أمر بها، بل كنت أنتظر بفارغ من الصبر وصول والدي حتى أنال العقاب الذي أستحقه، وعند الثالثة عصرا وصل والدي، بعد أن استدعاني ضابط المخفر الذي جلس معي في الصباح وتحاور معي بهدوء، دخلت غرفة الضابط لأجد أبي ذا اللحية البيضاء، وهو ينظر للأرض دون أن يكترث لوجودي، وطلب مني الجلوس.

هنا تحدث الضابط قائلا:

- غالية هذا الرجل الذي أمامي يقول ليس لديه أي من الأبناء، ولا يعرفك بتاتا.

كنت في البداية أظن أن الضابط يمزح معي، ويريد تخفيف الأجواء المشحونة، ولكن بعد ثوان فكرت قليلا وقلت بنفسي، هذه الأماكن لا يوجد فيها وقت للمزاح، بعدما دققت في عيني الضابط، الذي كان جادا في كلامه.

ثم تحدث والدي بصوت هادئ وقال:

- يا بنتي من الممكن أن الأمور قد اختلطت عليك، فأنا رجل عقيم لم يرزقني الله بأي من الأبناء، وصدقيني لي الشرف لو كنت أحد أبنائي.

لا أخفي عليكم أن والدي أو هذا الرجل العجوز الذي أنكر معرفته بي، أيضا كان جادا في كلامه.

هنا قطع الضابط حديثه وقال:

- هل أنت متأكدة من أنك أعطيتني رقم والدك الصحيح.

أجبته وأنا أبتلع عبراتي من الداخل:

- متأكدة، هذا الرجل الذي يجلس أمامي هو والدي، يدعة سالم فهد، والذي يعيش مع والدتي، في منطقة كيفان، لا أعلم لماذا ينكر معرفته بي.

نظر الضابط ناحية والدي وقال:

- الآن سنعرف إذا كان هذا الرجل على حق أو أنك تدعين عليه.

تكلم والدي وقال:

- صدقني يا حضرة الضابط أنا لا أعرف هذه الفتاة لا من قريب أو بعيد، يبدو أن المسكينة تعاني من شيء.

هز الضابط رأسه وقال:

- بعد قليل سنعرف كل شيء.

جلست في المكان أنتظر ما سيحدث بعد قليل، وأنظر لوالدي وأنا أبكي بصمت، وأفكر لماذا يحدث كل هذا؟ ولماذا والدي ينكر معرفته بي؟ هل بالفعل أنا أعاني من شيء ما، مرت ساعة ونصف، ولم يتحدث أي منا بكلمة واحدة سوى النظرات التي كانت أقسي من الكلام، الصمت أحيانا يتحدث بالحقيقة، حتى أنني لا أعرف لماذا كانت ردة فعلي بهذا الشكل، يبدو أن الصدمة قد ابتلعتني في هذا الوقت.

دخل أحد أفراد الشرطة الذي كان يمسك ورقة في يده، ومن ثم سلمها للضابط الذي بدأ بقراءتها، وبعد أن فرغ نظر لوالدي وقال:

- العم سالم، نعتذر منك على الإزعاج الذي سببناه لك، يمكنك الآن المغادرة، لقد تحرينا عنك في المعلومات المدنية واكتشفنا أنه ليس لديك أي أبناء.

قام العم سالم كما قال له الضابط، وهو ينظر إلي ويتحرك ببطء العجائز ويقول:

- أتمنى لك الهداية يا بنتي، وأتمنى أن تجدي أهلك، ثم خرج دون أن يلتفت خلفه، نعم كانت لحظات مؤلمة بالنسبة، خاصة عندما ينكرك من كنت كل حياته، ولا يلتفت ناحيتك، كأن شيئا لم يكن.

قال لي الضابط:

- ما قصتك يا غالية، لماذا ادعيت على هذا الرجل أنه والدك.

رددت عليه وعيناي مليئتان بالدموع:

- صدقني لم أكذب وكل ما قلته لك صحيح.

ثم بعد ذلك حكيت له قصتي بالتفصيل الممل، ووصفت له كل حياتي التي عشتها معهم، وكيف كنت أعيش في سجن كبير.

بدأ الضابط يفكر، ثم قال:

- من خلال خبرتي في هذا المجال أعرف جيدا من عيون الناس من الصادق ومن الكاذب، ولا أنكر صدقك، وأشعر أن كل ما تقولينه حقيقي، لكن ليس

لدي أي حيلة أو أنني أفرضك عليه، فهو يملك كل الأوراق الرسمية التي تؤكد أنك لست ابنته، وأنكر معرفته بك ولا أعلم لماذا يفعل ذلك.

أنهى الضابط فترة التحقيق معي، حتى أنه احتار كيف يتعامل مع مثل حالتي، وطلب من أفراد المخفر معاملتي جيدا، حتى يتم ترحيلي في اليوم تالي إلى دار الرعاية، فأنا لا أملك أي سجلات خاصة بي، حتى يتحرى عن الموضوع بدقة أكبر.

ليلتها كنت أفكر وأنا اجلس في غرفة الانتظار لماذا والدي تعامل معي بهذا الشكل، الأسئلة كما ذكرت لكم كانت تعج في رأسي، ولا أجد لها أي إجابة واضحة وصريحة.

الحيرة دائما ما تجعلنا نصطدم بجدار فولاذي، يمنعنا من معرفة ما خلفه، وها أنا محاطة بذلك الجدار من كل جانب، لا أدري ما أفعل، هل أستسلم للأمر الواقع، وأنتظر حلول ذلك الضابط، أم أنني أتحرك بمعرفتي، حتى أصل للحقيقة التي كنت أشعر أنها باتت قريبة مني؟

بعد صراع طويل وصلت لحل من الممكن أي يساعدني، تقدمت بخطوات سريعة ناحية غرفة الضابط، واستأذنت بالدخول، كان يجلس خلف مكتبه وهو يتحدث في الهاتف، وبعد أن أغلقه.

تحدثت بنبرة جدية، قائلة:

- أحتاج إلى مساعدتك الآن.

نظر إلي مستفسرا وقال...

- بماذا تريدين أن أساعدك؟

قلت له بهدوء:

- تسمح لي بالذهاب إلى منزلي، حتى أحسم كل هذا الجدل، وأعدك أنني سأعود مباشرة بعد أن أصل إلى الحقيقة.

صمت قليلا، ثم أجابني قائلا:

- قرار خروجك من هذا المكان صعب جدا وممنوع أيضا، كونك لا تحملين أي هوية، لكن في قرارة نفسي أعلم أنك صادقة في كل ما تقولين، وأنا على يقين أنك ستعودين، العفويون دائما صادقون، اذهبي إلى منزلك، وأتمنى أن أراك غدا في هذا المكان وأنت تحملين لي الحقيقة.

كانت الساعة تشير للثامنة مساء، وقت مناسب جدا انطلقت مسرعة، أبحث عن أي سيارة أجرة تقلني، من منطقة شرق التي لا تبدو بعيدة كثيرا عن

كيفان، حتى استطعت أن أجد سيارة تقلني، بصراحة كلما اقتربت من منزلي، كان هناك شعوران متناقضان يحتبسان في داخلي، أولهما الخوف من معرفة الحقيقة، والثاني كيف سأواجه تلك الحقيقة لو كانت مرة، فأفكر للحظات بالعودة أدراجي لمركز الشرطة وأنتظر حلول ذلك الضابط الطيب.

لم أجد نفسي إلا عند منزلي الذي حبست بين جدرانه عشرات السنين، تقدمت ناحية الباب الخارجي الذي كان مقفلا، ثم ضغطت على ذلك الجرس، ثواني حتى فتح الباب لأجد والدتي بثوبها الأسود ذات النقوش البيضاء الصغيرة، ووجهها الذي تجعد قليلا، تنظر إلي بذهول وارتباك كأنها للمرة الأولى التي تراني فيها، ولست ابنتها التي اعتادت على ملامح وجهها، لم أعطها أي فرصة بل واجهتها بكل قوتي، ولا أعلم من أين أتيت بتلك الكلمات الصادمة.

- لماذا أنكرني أبي؟ لماذا تتعاملون معي بهذه الطريقة؟ هل هذا نوع من العقاب لتجاوزي قوانينكم، كنت أظن أن عقابي سيكون مجرد توبيخ أو قرصة أذن وينتهي الأمر، لم أعلم أنكما تحملان في قلبيكما كل هذه القسوة، فأنا طلبت حقي فقط، حقي في ممارسة حريتي، حقي في الحياة كما عشتم فيها أنتم، من المؤسف أن يطلب الإنسان دون أن يأخذ بشكل تلقائي.

لم تجب والدتي وكانت مذهولة كثيرا من حديثي المباغت.

تقدمت بخطوات ثابتة وثقة مصطنعة إلى داخل المنزل، بدأت بالبحث عن أبي أريد أن أواجهه بالطريقة نفسها التي تحدثت بها مع والدتي، لأسمع صوت والدتي تقول:

- أصيب بجلطة خفيفة، إنه الآن في المستشفى يصارع الموت، لم يتحمل ذلك الموقف الذي حدث معه اليوم في قسم الشرطة.

أي فوضى أعيش فيها الآن، من المفترض أنا من تصاب بالجلطة، بعد تلك الأحداث الغريبة والصادمة التي حدثت معي، ينكرني وبعدها يصاب بالجلطة أي تناقضات أعيشها الآن؟

جلست على أحد المقاعد، ووضعت يدي على رأسي، كأنني وصلت لمرحلة لن أحتمل بعدها أي صدمة، ثم قلت لوالدتي:

- أعتقد أن جميع الإجابات التي أحتاجها الآن موجودة عندك، الوضع لا يحتمل أكثر من ذلك.

وقتها لم أكن أنظر إلى وجه والدتي، وعندما التفت ناحيتها، كانت الدموع قد غطت نصف ملامحها، ثم قالت لي:

- ألم أقل لك يوما، إننا أغلقنا تلك الأبواب التي تأتي منها الريح، وخروجك من المنزل من الممكن أن يفتحها، يومها لم تدركي ما قلت، خروجك الآن فتح أبواب الريح، ولن نستطيع لا أنا أو والدك إيقافها، الحقيقة مؤلمة وقاتلة أحيانا.

قلت هنا بصوت يائس...

- أريد معرفة هذه الحقيقة من أنا بالنسبة لكما، لماذا لم تكن لي أي هوية؟ هل والدي بالفعل إنسان عقيم؟ أو ليس له أبناء؟ إذا كيف أصبحت ابنتكما؟ ولماذا لم أخرج من هذا المنزل الكبير طوال حياتي؟ وعندما خرجت حصلت كل هذه المصائب؟ أجيبيني أكاد أجن.

قالت والدتي وهي تمسح دموعها الصامتة:

- فعلا حان وقت معرفة الحقيقة، القصة طويلة يا غالية ومعقدة في الوقت نفسه، هل أنت مستعدة لمعرفة وتحمل هذا الألم؟

أجبتها قائلة:

- مستعدة، ولا أريد الانتظار أكثر من ذلك.

جلست والدتي على الأريكة القريبة مني، وعيناها متورمتان من البكاء، ثم قالت:

- القصة بدأت قبل 16 عام تقريبا، عندما دخل زوجي سالم، وهو يحملك في يده، بصراحة كانت بالنسبة لي صدمة غير متوقعة، ومن أين أتى هذا الرجل بهذه الفتاة الصغيرة التي لم يتجاوز عمرها أسبوعا؟

كنت أظن في البداية أنك ابنته من زوجته الثانية، فمن الممكن أنه قد تزوج في الخفاء، من أجل الإنجاب فأنا لم أعطه ما يريد منذ زواجه بي قبل 7 سنوات، وحقق ما يريد بالزواج من أخرى، ويريد مواجهتي بالأمر الواقع.

أذكر وقتها أنني نشبت أظافري على كتفه بكل قوة، إنها الغيرة يا غالية، الغيرة التي تجعل النساء متوحشات وشرسات، ثم قلت:

- تزوجت يا سالم وهذه ابنتك منها؟

نظر إلي وعيناه تكادان أن تخرجا من محجريهما وأسنانه تصطك ببعضها من الغيظ، ورد بكل عصبية:

- يا لك من ثرثارة كبيرة، أنا في واد وأنت لا تزالين تمارسين حماقات النساء اللواتي دائما يفكرن من زاوية ضيقة.

هنا دفعني بيده الثانية ثم مددك على الأريكة الصغيرة، شعرت بهدوء كبير من جملته التي قالها والتي كانت تدل على أنه غير متزوج.

- ابنة من هذه الفتاة الصغيرة؟

لم يجبني بل جلس على الأريكة بجانبك ومد جسمه كله إلى الأمام ثم أرخى رأسه، وأطلق تنهيدة طويلة:

- مصيبة جديدة قد حلت علي، مع باقي المصائب الأخرى.

قلت له:

- ماذا تقصد بكلامك غير مفهوم؟

أجابني بصوت خافت ويائس:

- قصة لم أحسبها جيدا، وكنت أظن أنها في البداية ستكون مفتاحا لحل مشاكلي المالية.

كان والدك يا غالية، قبل أقل من سنة قد خسر جميع أمواله في تجارة البورصة، بعدها حجزت البنوك على أغلب ممتلكاته، لم يتبق لنا سوى هذا البيت الذي نعيش فيه، هذه نقطة لابد من معرفتها قبل استكمال الحكاية.

ثم أكمل حديثه قائلا:

- كانت هناك امرأة أعرفها من خلال تجارتي في البورصة، وكل ما أعرفه عنها أنها سيدة غنية وتملك الكثير من الأموال، لكن الله لم يرزقها بالأبناء، وزوجها إنسان طيب جدا وذو شخصية ضعيفة، أعطاها كل الصلاحيات في إدارة أمواله، هذه السيدة كانت تعلم أنني قد خسرت كل أموالي وأصبحت مهددا بالسجن إذا لم أدفع الالتزامات التي علي، قبل أسبوع ذهبت إليها، بقصد طلب سلفة منها، لكنها عرضت علي عرضا غريبا، يسيل له اللعاب.

قلت له مستفهمة:

- ما هو هذا الطلب؟

أجابني وهو يتنهد بقوة:

- طلبها أن أخطف لها طفلا حديث الولادة.

هنا أصبت بالذهول.

وأكمل والدك حديثه:

شرطها أن يكون من أحد المستشفيات، في المقابل هي تدفع لي على هذه الخدمة 100 ألف دينار من دون مقابل.

لا أنكر أن هذا العرض كان مثيرا جدا، وفي الوقت نفسه يعد مخيفا، كوني سأقوم بعملية اختطاف لطفل حديث الولادة.

قال لها والدك آنذاك:

- أستطيع أن أجلب لك أي طفل من أي مكان تريدين، أو أننا نشتري لك من بعض الأسر الفقيرة والتي تحتاج المال أحد أبنائها.

أجابته السيدة بهدوء قائلة:

- في الكويت من الصعب أن تجد عائلة حتى لو كانت فقيرة تبيع أولادها، ثم إنني لا أريد لهذا الطفل أي شيء يربطه بالعالم الخارجي، فربما بعد أن نشتري هذا الطفل، تأتي والدته وتطلبه مرة أخرى بعد أن يستيقظ ضميرها، الأم حتى لو باعت ولدها سيأتي يوم وتقودها عاطفة الأمومة له مهما دار الزمن، فلذلك طلبت منك اختطاف طفل يكون غير معروف الأبوين، ومن ثم يتم تسجيله بطريقتي الخاصة باسمي وينتهي كل شيء، ولن يطالبني به أحد في المستقبل.

يقول والدك:

- جلست للحظة أفكر في ذلك العرض، وأحسب كل الأمور في رأسي جيدا، وفي الأخير قلت لها دعيني أفكر، الأمر يحتاج إلى تدبير.

قالت له السيدة الثرية:

- لن أمهلك كثيرا، فهناك العديد من الخيارات أمامي، صدقني يا سالم العرض مغر جدا.

ظل والدك يفكر وهو جالس عندها، يتخيل لو أنه خرج فلن يحظى بفرصة هذا العرض مرة أخرى، ثم نظر إليها وقال:

- خلال أسبوع سيكون الطفل عندك.

نعم بالفعل هذا ما قرره والدك، فقد قام بجولة في أغلب المستشفيات في الكويت وبالتحديد القسم الخاص بالولادة وقسم الأطفال ودرس الموضوع بشكل جيد، والذي من خلاله عرف أن الحراسة على هذه الأماكن ضعيفة جدا، فأغلب الناس في ذلك الوقت، لم يظنوا أو يفكروا لا من قريب أو بعيد أن يتم اختطاف أطفال رضع.

وقام والدك بتنفيذ خطته، عندما ذهب إلى مستشفى العدان المعروف، ثم اخترق جميع الحواجز بهدوء، فهيئة والدك الخارجية لم تجلب أي شك، ودخل إلى غرفة الأطفال الرضع، ثم مد يده بشكل عشوائي حتى وقع الاختيار عليك، ثم خرج بسرعة كبيرة بعد أن وضعك داخل صندوق صغير للهداية كان قد خصصه لهذا الأمر، فأي شخص كان يمر بجانبه كان يظن أن ما بيده هدية من الممكن أن تكون لأحد المرضى.

وبشكل سريع خرج بك من المستشفى ثم جلس في سيارته، وهو يلهث من شدة التعب والإرهاق النفسي، وانطلق مسرعا ناحية بيت السيدة الثرية، وعند الوصول انتبه إلى أن هناك العديد من السيارات التي كانت تقف أمام بيتها ثم نزل، وطرق الباب ليخرج له أحد الرجال يبدو أنه من أقاربها، ليقول له إن السيدة الثرية قد ماتت ليلة البارحة بنوبة قلبية.

هنا وضع والدك نفسه في مأزق كبير، ولم يعرف كيف يتصرف هل يرجعك للمستشفى مرة أخرى، هذا أمر صعب خاصة لو تم القبض عليه، فأتى بك إلى البيت.

أذكر جيدا أنني بقيت صامتة، لا أعرف ماذا أقول، كانت بالنسبة صدمة غير متوقعة، طفلة رضيعة في بيتي لا أعرف لها أي عائلة، ووالدك حائر لا يدري ماذا يفعل.

بقيت عندنا لمدة أسبوع كامل، وفي هذا الوقت تم إلقاء القبض على والدك بسبب الديون التي حاصرته من كل جانب، وتم سجنه لمدة 3 سنوات، أذكر جيدا أن الصحافة كتبت عن هذا الموضوع، وأثيرت آنذاك ضجة كبيرة، حتى أن الناس صاروا يحرسون مواليدهم، خوفا من أن يختطفوا كما حصل لك.

في هذا الوقت لم أدر ما سأفعله بك، بصراحة هنا اشتعلت داخلي عاطفة الأمومة، فأنا امرأة محرومة من الأبناء، ووجدت ضالتها فيك، فلم أتردد في الاحتفاظ بك، وكنت طوال تلك الفترة تسلين وحدتي وتخففين عني وطأة المصيبة التي حلت بنا بسبب سجن زوجي، خاصة أن والدك كان دائما ما يحثني على التخلص منك، لكني كنت أضع أمامه العديد من الحجج، حتى كبرت، وخرج زوجي من السجن، ليجد نفسه من جديد محاصرا لكن هذه المرة محاصرا بك أنت، ووضعته أمام الأمر الواقع.

عندما رآك وأنت في سن الرابعة، ضاقت الدنيا عليه بما وسعت، وأحس أن هناك شيئا ثقيلا نام على صدره، ما يفعل هل يقتلك ويدفنك حية، وينتهي الأمر ولن يسأل عنك أحد، لكنه عجز عن فعل هذا الأمر لأن طبيعة أبيك مسالمة.

فاقترحت عليه أنا هذا الاقتراح وهو أن تعيشي معنا من دون أن تخرجي لأي مكان ما، حتى أقرب الناس لنا لابد أن لا يعرفوا أي شيء عنك، وقد فكرت يوما أن نخرجك للتنزه أو لأي مكان، إلا أن والدك رفض، خوفا من مصادفة أحد المعارف، لأننا درسنا كافة الاحتمالات، أعلم جيدا أننا وضعناك في مأزق كبير، لكن الظروف شاءت أن يحصل كل هذا لك، وأقدارك تضعك معنا.

بقيت صامته أستمع، أعيش في حالة ذهول ليس لها مثيل، كل هذا حدث لي في حياتي الماضية، وأنا لا أعرف عنه أي شيء، والأقسى من ذلك أن أهلي أصبحوا ليسوا أهلي، بل عبارة عن عصابة اختطاف أطفال رضع، من دون شعور دفعت الطاولة التي أمامي بكل قوة ورحت أضرب رأسي على الحائط، أحاول الانتحار، بينما كانت والدتي تحاول تهدئتي، الدماء بدأت تسيل من أعلى رأسي، ثم سقطت على الأرض دقائق حتى رن هاتف والدتي المحمول، لأجد أحد أشقاء والدي، يبلغها أن أبي قد مات إثر تلك الجلطة التي حصلت له.

صرخت والدتي وراحت تبكي بكل حرقة، بينما أنا انسحبت بهدوء وقلبي يشتعل من الداخل، أود الانتقام، وذهبت لمخفر الشرطة أبلغه بالحقيقة المرة التي أعرفها.

هنا انتهى كل شي عرفت حقيقتي التي كلما تذكرت أحداثها أصاب بالذهول المرير، وألقي القبض على والدتي بعد مراسم عزاء والدي، لكنهم أفرجوا عنها، بسبب عدم مشاركتها في هذه الجريمة، وبدأت الشرطة بفتح الملفات القديمة، وتوصلوا في الأخير لوالدي الحقيقيين الذين انتقلت للعيش معهما بشكل تلقائي بعد ضياع 17 عام، لا أنكر أنني كنت أعيش أيضا في حالة ذهول بينهم، إضافة إلى أنني أحاول التأقلم على العيش معهما، حتى لا أنسى، شعرت في عيني والدي الحقيقيين، بلهفة كبيرة ولوعة عندما شاهداني أول مرة، وكم عانيا كثيرا بعد اختطافي، إنها حالات من الحزن المرير الذي لن يتوقف، وعلي أن أعيش حياتي القادمة، وأعوض كل ما فاتني.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

سراب الموت

لا تنظر للأشياء من بعد،

اقترب أكثر لتعرف الحقيقة

كعادة كل يوم، توقظني من الفراش وتطلب مني مساعدتها في تنويم ولدنا وليد، أتظاهر أمامها بأنني سأقوم بذلك، أمثل دور الأب المنزعج من بكاء ولدنا الدائم في غرفته...

- سلمان أرجوك ساعدني، لقد مللت من بكاء هذا الولد.

صوت زوجتي دلال قادم من غرفة ولدنا.

أتوجه بخطوات بائسة ويائسة نحوها بكل هدوء، أجدها تجلس بجانب السرير الصغير، وهي تضع يدها داخله، كأنها تربت على جسد طفل لم يتجاوز الرابعة من عمره، تغني له تهويده تراثية حفظتها من والدتها بصوت رفيع:

(نام نومة هنية، نومة الغزلان بالبرية)

بعد دقائق...

اقترب منها، تضع سبابتها وسط فمها تطلب مني الهدوء، وملامح وجهها تقول، لا تجلب معك كل هذه الضجة الولد يدخل الآن في نوم عميق، وما زلت أواصل دوري التمثيلي معها.

تقوم بكل هدوء وتضع يدها بيدي وتسحبني وهي تسير ببطء حتى لا تحدث ضجة بخطواتها، وتطلب مني العمل نفسه، تقف عند الباب ثم تترك يدي، تهمس بصوت منخفض:

- إياك وإصدار الأصوات، فلم أصدق أن وليد قد نام.

حركت رأسي أوافقها الرأي، تركتني واتجهت نحو غرفتنا، بينما أنا عدت أدراجي لغرفة وليد، أسير بخطوات يائسة نحو سريره، أنظر داخله، فلا أجد وليد أو غيره، السرير الصغير خاو.

كل يوم على هذه الحال منذ وفاة ولدنا وليد في حادث سير، زوجتي تمر بحالة نفسية صعبة لا تريد تصديق أن الولد قد مات، كل يوم تظن أن وليد يواصل بكاءه في غرفته، كل يوم تنهض صباحا تعد وجبة الإفطار وتضع 3 أكواب من الحليب أحدها لوليد غير الموجود، كل يوم كل يوم وأنا أعيش مع زوجتي حالة من الجنون الغريب الذي لا أجد له أي تفسير، سوى أنني أتعاطف معها بسبب هول صدمة فقدان وليد، لا أنكر أنني كنت أتعذب معها

منذ فقدانه قبل ست شهور، لكن ما الحل، الأمر أكبر من أن نتصور ووليد لن يعود.

طلب مني الأطباء الاستمرار بمسايرتها حتى تجتاز هذه المرحلة الصعبة والحساسة، وتصدق أن وليد لن يعود وهو في عداد الأموات، والاستمرار بالتمثيل عليها أن وليد لا يزال على قيد الحياة ويعيش معنا، يأكل ويشرب وينام ويبكي ويزعج ويصرخ، لكني مللت وضجرت من هذه الأدوار، إنها تعذبني أكثر مما تتصور فأنا الآخر أريد نسيانه.

طبعا الأمر لا يقتصر على منزلنا بل امتد إلى خارجه، فهي تريد من الناس أيضا، مسايرتها وتصديقها أن وليد لا يزال يعيش بيننا، تفتعل المشاكل وتطالب الناس باحترامها، ولا أنسى ذلك اليوم الذي خرجنا فيه إلى أحد المجمعات التجارية الكبيرة، كنت أظن أنها من خلال التسوق ستهدأ قليلا، لكن كنت مخطئا، عندما تركتها في الركن المخصص للنساء تشاهد بعض الملابس، واتجهت أنا للركن الرجالي، لم تمر دقائق حتى سمعت ضجة والعديد من الناس يتجمهرون حول شيء ما، وهناك صراخ من امرأة نعم أعرف هذا الصوت إنه صوت زوجتي دلال كانت تصرخ بصوتها العالي وتقول لصاحب المحل:

- ليس لديك قلب لماذا تتعامل مع الأطفال بهذه الطريقة؟

وقفت مذهولا لثوان، قبل أن أدرك أنه لابد من التدخل السريع وإنقاذ الموقف، كان صاحب المحل هو الآخر يستغرب، ويتساءل عن أي أطفال تتحدث هذه المجنونة، وراح يلومها بشدة كبيرة، بينما الناس وقفوا متفرجين بغرابة.

اتجهت نحو صاحب المحل وهمست في أذنه وطلبت منه مسايرة زوجتي، وقلت له بسرعة كبيرة:

- زوجتي تمر بحالة نفسية حرجة.

فهم الرجل سريعا ما أقول وراح ينظر إلي، ثم توجه بحركة ذكية نحو المتجمهرين وقال بصوت عال:

- أرجو من الجميع الخروج، فالمشكلة قد انتهت.

بدأ الناس بالخروج بشكل تدريجي من المحل وانفض هذا التجمهر، وراح صاحب المحل يعتذر من زوجتي على قلة ذوقه بتصرفه غير المهذب مع الطفل، وطلب منها الاستمرار في التسوق.

هنا تدخلت وقلت لزوجتي أكملي تسوقك سأبقي وليد معي، ثم سحبت صاحب المحل من يده واتجهنا لأحد زوايا المحل وحكيت له القصة كاملة، تفهم الرجل بكل احترام، وراح يساير الموضوع حتى موعد خروجنا من المحل.

طبعا هذا الأمر يتكرر كثيرا بكل محل أو منتزه أو سوق أو حديقة أو مستشفى، تتشاجر مع الناس بحجة أنهم يزعجون ولدها الذي تظن أنه لا يزال يعيش معنا على وجه الأرض.

كنت أظن مع مرور الوقت ستتحسن حالة دلال، والمصيبة أن الأمر يزداد سوءا كل يوم، حتى وصلت لمرحلة من الهياج والصراخ العصبي، تبكي فراق وليد الذي كانت تعرف من أعماقها أنه متوف، مرافقة المريض أصعب من المرض نفسه، هو ما يحدث معي كل يوم، كأنني أتعامل مع قنبلة قابلة للانفجار في أي لحظة.

ذات يوم صحوت من النوم ولم أجد دلال في فراشها، توقعت في البداية أنها في الصالة أو في المطبخ، نهضت وتوجهت إلى الحمام وأثناء سيري قمت بمناداتها، لكن لم تكن هناك أي إجابة، انتهيت من غسل وجهي، وذهبت أبحث عنها في أرجاء المنزل، لكن لم أجدها في أي مكان، هنا شعرت أن أمرا سيئا قد حدث، وفي لحظة تفكيري المرتبك، رن الهاتف، كانت هوية المتصل غير معروفة لي بتاتا، رددت بهدوء وقلق:

- سيد سلمان، معك الضابط... يرجى مراجعتنا في قسم الشرطة.

لم أدرك في البداية ما يحدث وقلت مستفسرا:

- لماذا أراجعكم، هل حدث مكروه؟

رد الضابط:

- الموضوع بخصوص زوجتك دلال.

انطلقت مسرعا نحو قسم الشرطة، وفور وصولي فوجئت بوجود زوجتي بعينيها المتورمتين، بينما كان يقابلها رجل أعرفه، هنا صرخت زوجتي بصوت عال:

- سلمان هذا قاتل ولدنا، الشرطة لا يريدون أن يصدقوني.

لم أكترث لكلام دلال، وسألت الضابط بشكل سريع:

- ما الذي يحدث.

أجابني الضابط بهدوء:

- زوجتك تهجمت على هذا الرجل أمام بيته، وحاولت تحطيم إحدى السيارات التي كانت أمام بيته، والرجل اتصل بنا للتدخل.

يا إلهي زوجتي تريد قتل الرجل الذي اصطدم بها ليلة وفاة ولدنا وليد، المسكينة لا تعلم أن الحادث سببه خطأ غير مقصود منها، والرجل غير متهم الآن، الأمر في غاية التعقيد والإحراج.

نظرت للرجل مجددا الذي كان يجلس بعيدا قليلا، والذي تحدث قائلا:

- سامحني يا أبا وليد، أقدر ظروفكم، اضطررت لفعل هذا الشيء.

هنا ومن دون سابق إنذار، هجمت زوجتي على الرجل وراحت تضربه بكل قوة، وقتها لم أستطع فعل شيء، وقفت مشدوها ومشوشا، حتى سقطت مغشيا عليا، وكانت آخر جملة سمعتها من الضابط الذي قال:

- أبعدوا سلمان عن الرجل، احجزوه في الزنزانة، الأمر زاد عن حده.

ولم أستيقظ إلا وأنا ممدد على أحد الأسرة، ومكبل اليدين والرجلين، أسمع إحدى الممرضات تقول لزميلتها، حالة هذا الرجل صعبة وشديدة، الطبيب طلب منا مراقبته بين الحين والآخر، هنا فهمت أنني ما زلت في مستشفى الطب النفسي...

عزيزي القارئ بطل القصة سلمان، يعاني من حالة نفسية شديدة، فهو لا يزال يظن أن زوجته دلال وابنه وليد لا يزالان يعيشان معه، ويتعامل معهما كأنهما أحياء، بعد وفاتهما في الحادث الذي حصل لهما قبل ست شهور، حيث ظن الأطباء أن حالته تتحسن لكن الأمر ازداد سوءا بعد خروجه من المستشفى، وتهجمه الذي كاد من خلاله أن يقتل الرجل الذي اصطدم بزوجته وولدها، ولا يزال سلمان يرقد في مستشفى الطب النفسي، يعاني من حالة سراب الموت.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

7 دقائق

لحظاتك السعيدة والسيئة لن تنساك أبدا

لم أكن نائما أو مستيقظا في تلك اللحظات، كنت ما بين الاثنين، حتى أنني لا أشعر بثقل وزني أو بذلك الشحم المتدلي من وسط جسمي، كالريشة التي قذفتها الريح وسط السماء ، أرى كل الأمور واضحة أمامي، زوجتي أبنائي، أصدقائي، كلهم يقفون صفاً واحداً وسط دائرة هلامية، كأنهم مجسمات دخانية غير ثابتة الصورة...

لحظة، ما ذلك الشيء الذي خلفهم، دخان يتشكل بصور بشعة، إما على شكل خنزير أو ثعبان، لا أعلم ما ذلك الشكل، ضبع لا، لا إنه ذئب حيرني بصراحة...

وهناك أشكال أخرى جميلة وردة أو فراشة، أو كطير، كل تلك الأمور تقف خلفهم...

أسمع صوت ابني جابر يهمس في أذن أخيه خالد، لابد من إتمام جميع الأمور بأسرع وقت، وترتيب الأوراق وتسليمها للمحامي، لا نريد كشف كل الأملاك...

فجأة

وبينما أنا أدقق على تلك الكلمات محاولاً سماع الجمل الأخرى، لم أجد نفسي إلا وأنا في ذلك المكان الذي صبغت حيطانه بالبياض.

صوت صراخ طفل متوالٍ يبقر طبلة أذني، أسمع تلك الممرضة التي خرجت.

لحظة...

إنه أبي، لكن صورته الأخيرة قبل وفاته قد تغيرت، أين الشيب الذي يغطي نصف وجه، "سكسوكته" الصغيرة كانت تشع سواداً، من أين أتى بذلك اللمعان على وجهه؟

كانت الممرضة تتحدث إليه، وهو يهز رأسه، بعدها أخرج من جيبه مبلغاً من المال، وأعطاها للممرضة التي ابتسمت وهي تهز رأسها كعلامة على الامتنان ثم ذهبت بهدوء.

خالي جلال يقبل أبي، ويقول تلك الجملة، "الله يطرح فيه البركة".

انقطع المشهد، فجأة تتقلب الوجوه بحركة سريعة...

أسمع صوت أمي، وهي تغني، لحظة هل تغني لطفل، نعم إنها كذلك.

نظرت إلى الجانب الآخر وقالت "تمنيتها بنتا".

ردت امرأة كانت بجانبها، "اللي ياي من الله حياه الله".

كان الحزن طافياً على وجه أمي "صاروا أربعة أولاد يا خديجة".

شنو سميتوه "ضاري".

إنه اسمي كيف ذلك.

عادت أمي وقالت بصوت يملؤه الأسى، "ما شفت بو سالم، من ولدت ضاري".

ردت التي تدعى خديجة، "لا تلومينه لاهي بعزى أخوه سلمان تدرين بنفس اليوم اللي ولد فيه ضاري توفى سلمان ".

نعم نعم أذكر والدي دائما يقول لي تلك الجملة:

"يوم شرفت للدنيا حضرتك خذيت روح عمك سلمان".

أذكر جيدا جملة أمي أيضا، "انته ليش موذي، طالع على عمك سلمان الله يرحمه مو مخلي شي منه".

بينما أخي الكبير سالم يقول لي دائماً: كأن روح عمي مع ولادتك انتقلت، وانصهرت في جسمك، لا أعلم هل هو تناسخ أرواح !؟

فجأة تتقلب الوجوه من حولي كأنها تدور في دولاب، أو شريط يتحرك بسرعة خارقة ليتوقف مجدداً، هناك زعزعة كبيرة في رأسي كأن أحدهم يرجه لي رجا.

لأجد نفسي في تلك الغرفة المليئة بالكراسي والطاولات المنظمة بصفوف ثلاثة، وحيطانها التي تزينت بوسائل بيضاء مكتوبة بخطوط جميلة، في وسطها العديد من النوافذ.

إنها مدرستي، نعم أذكر ذلك الفصل الذي كان يطل على ساحة ملعب الكرة، وعندها نتقافز محاولين النظر إلى كل من يمر بجانب فصلنا.

"سأنام قليلا وحاول إيقاظي عند مرور المدرس ".

هذه جملة صديقي باسل والتي أصبحت أسطوانته اليومية.

المشهد الذي أمامي أدخل الفصل هارباً من الوقوف الممل في طابور الصباح الذي يزيد غيضي في بداية يومي، جلست آخر الفصل في الزاوية مكاني المفضل، ثوانٍ حتى يدخل باسل صديقي المشاغب ومعه ثلاثة طلاب آخرين

الذين يعدون من الشلة، ويصعدون على إحدى الطاولات بطريقة خاطفة ويقومون بجر الديكور المتدلي من أعلى السقف، لم أعلق لحظتها كنت أراقب فقط الموقف...

"ضاري قوم ساعدنا ".

ثوانٍ أخرى حتى سقط جانب منه كاشفاً الجزء الخرساني من السقف.

طلبوا مني الخروج بسرعة، والذهاب إلى الطابور، وعند وصولنا، سألته عن سبب قيامه بذلك، رد ببرودته المعتادة ألا تريد إجازة مجانية من المدرسة؟

مدير المدرسة يجمع كل المشبوهين والمشهورين في المشاغبة، وطبعا كنا أنا وباسل من ضمن الواقفين في غرفة المدير التي تفوح منها رائحة البخور عكس فصلنا الذي تنتشر فيه رائحة لعاب الطلبة الصباحي...

يردد (سنقوم بفصل جماعي لكل طلاب فصلكم إذا لم تكشفوا مدبري سقوط ديكور الفصل).

هناك نظرت إلى وجه باسل الذي لاحت منه ابتسامة خبيثة تؤكد نجاح خطته، اتفقت إجابات الزملاء على وجودهم جميعاً في الطابور، قبل الصعود إلى الفصول والتفا جئ بسقوط الديكور الذي منعهم من إتمام يومهم الدراسي.

لم نحضر اليوم التالي بعد أن تم تسليمنا ورقة إخطار بحضور أولياء الأمور لكشف الحقائق المخفية، طبعاً قبل خروجي من المدرسة مزقت الورقة، ولم أذهب إليها حتى موعد انتهاء فترة الفصل الذي مر عليه أسبوعان، وكنت أتظاهر بذهابي إليها أمام والدي، لكن قبل موعد بداية اليوم الدراسي، نتوارى عن الأنظار أنا وباسل في أماكن تخف واضحة نتبادل فيها شرب السجائر وأحياناً النوم المتقطع حتى موعد عودتنا إلى البيت في نهاية اليوم الدراسي.

كل طالب يسمع اسمه ينتظرني في غرفة الإشراف، الجملة التي فوجئنا بها في أول يوم دراسي بعد انتهاء العقوبة، كنا ندخل واحداً واحداً لغرفة المشرف، سبقني باسل إلى تلك الحجرة، وبعد خروجه حاولت الاستفسار منه عن السبب، لكن المشرف منع الجميع من الاختلاط أو الحديث حتى الانتهاء من التحقيقات النهائية، دخلت حجرة الإشراف وبدأ أحد المدرسين الحديث، كنت أستمع إلى تهديداته الواضحة، وكلامه المبطن بالطرد من المدرسة، وجملة المدرسين الشهيرة سنصبح كالكلاب الضالة في الشوارع، وقبل انتهاء حديثه، سكنت نبرة صوته، ليعرض علي بعدها ذلك العرض الغريب، طلب مني المشرف الكشف عن الفاعل الحقيقي الذي أسقط ديكور الفصل، في المقابل إعطائي خمس درجات في كل مادة دراسية، مع عدم الكشف عن اسمي نهائياً، سكت للحظة أفكر بالعرض المغري، وأقلبه

في رأسي، في المقابل تذكرت صداقتي القوية بزميلي باسل وما هي العقوبات التي ستنهال عليه.

المشاهد تتطاير أمام عيني بسرعة خاطفة...

"وين هالغيبة يا باسل، فجأة اختفيت من المدرسة" جملتي التي احتضنت فيها باسل بعد غيبة طويلة عندما رأيته واقفاً عند الدكان...

"شنو ما تدري فصلوني فصلاً نهائياً لأنه درو أني طحيت السقف" تظاهرت بالاستغراب قائلا "من صجك شلون"؟

"تذكر ذاك اليوم اللي دخلونا واحد واحد بغرفة المشرف عرضوا علي أني أقولهم عن أسماء الأشخاص اللي طيحو السقف ويعطوني خمس درجات بكل مادة بس رفضت شلون أغدر فيك يا ضاري، بس مادري منو بالضبط اللي فتن علي، أنا أشك بسلطان أدري فيه خواف وخبيث".

باسل المسكين رغم مشاكسته ومظهره الخارجي، إلا أنه يحمل في داخله قلب فارس شجاع لا يعرف طريقا للخيانة ويقدس الصداقة، ويثق بي ثقة عمياء، لكنه لا يعلم ما يجول داخل خلجات صدري.

صمتُ قليلاً لأتذكر عبارة مدرس الرياضيات قبل نهاية العام الدراسي، وهو يردد تلك الجملة، أحد أسباب نجاحك هذا العام الدرجات الخمس التي وضعتها لك إدارة المدرسة في كل مادة.

الشريط السينمائي يدور أمامي بقوة كبيرة، لم أجد نفسي إلا وأنا مستلق على السرير...

يتدلى بجواره سلك صغير واصلاً إلى الهاتف المنزلي بجانبي، وعلى قسمات وجهي هناك بعض الشعيرات التي انتشرت هنا وهناك، وبيدي سماعة الهاتف.

أول جملة سمعتها:

"أنت إنسانة طيبة وأنا مابي إلا كل خير لج، عادل ما يستاهلج".

كانت تبكي بحرارة، ومشاعرها الحزينة تتدفق من عبر الأسلاك.

قالت لي ماذا أفعل لقد تعلقت بعادل؟

واليوم اكتشف أنه يخونني مع العديد من الفتيات، والدليل تلك الصور التي بعثتها لي...

شعرت بنشوة نجاح الخطة، والتمثيل أمامها دور ذلك الرجل الشهم الذي لا تهمه الصداقة، بل كل ما يريده إنقاذ فتاة مسالمة من أنياب ذئب يريد

الانقضاض عليها.

واستغلالها أسوأ استغلال، كونها فتاة من عائلة غنية.

انقطعت بكرة الشريط السينمائي فجأة من جديد.

الآن أجلس مع شخص، يكاد يفيض من الحزن، قائلاً:

"تغيرت علي يا ضاري، صارت فتاة ثانية، مادري منو اللي قاص عليها وقايل لها إني أكلم غيرها، أمس رديت كل صورها، وهداياها انتهت علاقتي فيها".

إنه عادل صديقي الصدوق، قلت له كيف ذلك؟ متظاهراً بالتعاطف معه والصدمة؟

قال أصبحت لا ترد على مكالماتي، تتحدث معي بطريقة جافة، أصبحت لا أشعر بتلك الأحاسيس المتبادلة بيننا...

أنت تعلم كم أعشقها، تظن أنني لا أريد سوى الهدايا والمال كونها فتاة من عائلة غنية ومعروفة، أنت تعلم صدق نواياي وحبي الجارف لها، تظن أنني أستغلها.

هززت رأسي، ولم أتكلم، أعلم جيداً سلوى فتاة يحلم بها أي رجل طموح، فهي كاملة المواصفات، فمن الجمال لديها الكثير، ومن المال لا ينقصها شيء، وارتباطها بأي رجل يعني أن الدنيا لم تبتسم له فقط بل ستقهقه له...

وفي الوقت نفسه أدرك أن «عادل" ليس ذلك الرجل الذي يصلح لها، بسبب ذلك القلب الطيب الذي يحمله وسط صدره، بل تريد رجلا يحمل مواصفات خاصة لا يلين ولا ينكسر.

تعود الأمور للدوران مرة أخرى...

أجد نفسي في مكان يعج بالرجال، وأنا أجلس وسط أبي وأخي الكبير سالم، ليقطع ذلك المشهد صوت والدي الذي قال لي:

"قوم بوس راس عمك".

وعندما انتهيت قام الجميع بالسلام علي، وهم ينهالون علي بالتبريكات والتهاني.

وها أنا الآن أسير ما بين العديد من النسوة وسط صوت تلك المرأة التي تغني بأعلى صوتها، وأنا ألبس ذلك الرداء الأسود "البشت" وغترتي ناصعة البياض، وحذائي الأسود اللامع، أتقدم ناحية مكان اكتسى بالزهور والعطور تتوسطه فتاة رائعة الجمال تمسك بيدها باقة من الورد منحنية الرأس، والجميع ما بين

مبتهج وراقص، لكني كنت أسير ناحيتها ولا أنظر لسواها، لتتقدم أختي وتعطيني خاتماً صغيراً، وهي تقول:

"لبسه حق عروستك سلوى".

يعود ذلك الشريط السريع، ليضع أمامي ذلك المشهد، شخص يحاول الهجوم علي، إنه طلال أخو عادل، عندما كنت جالساً في أحد المقاهي بمنطقة السالمية، بينما كان هناك مجموعة من الشباب الآخرين يحاولون منعه، وهو يردد:

"هذا الحقير هو سبب مرض أخوي ودخوله الطب النفسي، هالنصاب ديروا بالكم منه".

يبدو أن طلال كشف الحقيقة لكن، لا أعرف كيف كشفها؟؟ لم أبال ورحلت كوني الآن أملك سلوى...

دواليب الزمن تتحرك بسرعة كبيرة.

إخوتي كلهم ينظرون إلي، بينما أنا أتحدث:

"لا طالعوني جذي أبوي بغيبوبة وما ندري متى يصحو منها لازم نتصرف بالحلال".

أخي سالم إنسان طيب القلب ومتعلق بأبي كثيراً، لن نتصرف بأي شيء من أملاك والدي حتى يفيق، قالها هو...

أصرخ بصوت عال "أقولك الحجي ماله رجعة للدنيا لازم نخلص الموضوع بسرعة".

مشهد آخر...

نقف أنا وإخوتي صفاً واحداً نتلقى عزاء والدي، ينظر إلي عمي عبد الله يقترب ويهمس في أذني:

"سالم مايبيك تكون موجود بالعزى بعد السالفة اللي سويتها، وقضية الحجر على أملاك أبوك حاول تطلع بسرعة".

صراخ سالم الهادئ يملأ صالة المنزل وهو يقول:

"شتبي بعد ما ورثت أبوك بالحيا، وما أعتقد أنك متأثر، ما أبي أشوفك مرة ثانية أنت لا أخوي ولا أعرفك، كوشت على الحلال كله، الشي اللي كان يربطني فيك الحين موجود تحت التراب".

هنا تشعر بذلك الضيق في صدرك، لكن هناك أمور أخرى قد أنجزت والواقع الذي لا يتحمله سالم هو الرابح، أحاول تبرير موقفي وإعادة كل الأمور إلى نصابها، أجد تلك القوة الغريبة التي تمنعني وتكون حاجزا هلاميا أسود يحول بيني وبينه، أريد أن أقول سالم سامحني، كل ما فعلته الآن لم ينفعني...

العجلة السريعة تدور، ولا تريد إمهالي، كل ما تريده أن أعيش مع تلك الحسرات التي تزداد شيئا فشيئا في صدري.

أبنائي خالد وجابر، يجلسان أمام مكتبي المزخرف، "يبه أنت الحين ريال عود، ماله داعي كل يوم تتزوج".

كنت أنظر إليهما من خلف نظارتي الطبية بعصبية، وبقايا الشيب الأبيض تملأ لحيتي:

"الله يا الدنيا ما بقى إلا انتو تعلموني السنع قوموا طلعو برة".

خالد يقولها بحسرة:

"أبو جابر (يقصدني أنا)، دون أن يقول أبي، لم أعرف حنان الأبوة يوماً، وكنت أرى نفسي يتيماً رغم أنك تعيش بيننا، كنت رجلا قاسيا وأنانيا، لا يحب إلا نفسه، ونحن حوله مجرد أدوات لسعادته هكذا هم الأنانيون، أمي المسكينة لم تعش معك تلك السعادة، وكانت تردد دائماً:

"كنت عمية يوم تزوجت أبوك".

يقفز عادل الذي خطفت منه سلوى فجأة وسط هذا النقاش، وهو يقول جملته، إذا لم أتزوج سلوى، إما أموت أو يصيبني الجنون، وفي الوقت نفسه كنت أنا أنسج أفعالي الخبيثة عليهم، لهدم هذه العلاقة من أجل الفوز بقلب سلوى، وطرد عادل من حياتها...

لم أفكر وقتها سوى بشهواتي، لم أبن داخلي سوى حب ذاتي، كنت أبني سعادتي على شقاء الآخرين...

يعود مشهد أبنائي من جديد...

يقوم ولدي جابر من على كرسيه وهو يقول:

"قوم خالد ما تعلمنا من أبوك بس الأنانية والقسوة ".

بدأ ذلك الشريط اللعين يعرض تلك الوجوه، الضحايا الذين ظلمتهم بيدي، ذلك يجثو على ركبتيه رافعا يديه إلى السماء يدعو علي...

وهذا الذي طردته من وظيفته، وذاك الذي فقد كل شيء من حياته، وتلك التي لم أعترف بزواجي منها بعد أن علمت أنها حامل، السواد كان يلطخ أطراف ذلك الشريط.

لم تكن هناك سوى بقعة بيضاء ناصعة تتوهج من الأعلى، امرأة باسمة الوجه، لا أعرفها لكنها الوحيدة التي تبتسم مابين تلك الوجوه الحاقدة.

أبو جابر، قالها أحد الموظفين الذين كنت أعتمد عليهم في شركتي:

إحدى المؤسسات الدينية تعرض علينا كفالة أحد أيتام بإحدى الدول العربية، بمبلغ نستقطعه من أحد أرصدتنا بالبنوك لكفالتهم، لم أكترث له أبدا.

وقلت له أريد صفقات تنفخ الأرصدة، ولا أريد صفقات تأخذ من أرصدتنا الأموال، خرج المسكين من غرفتي يائساً مني.

سكرتيرة حنان، أبو جابر يقول: اتفقي مع المؤسسة الدينية على كفالة عائلة واحدة، فقط.

ذلك الموظف يكذب على السكرتيرة، وتلك الغبية تصدق وتقوم بإجراءات كفالة تلك العائلة.

يا إلهي، ذلك البياض الذي يلوح ويشع من أعلى الشريط، هي الأرملة التي كفلت عائلتها، بسبب تصرف ذلك الموظف.

يدور ذلك الشريط ويدور ويدور، أبحث عن بياض آخر، فقلبي لا يشعر بالراحة إلا عند ذلك التوهج.

أريد أن أعود إلى مكتبي حتى أبلغ تلك السكرتير بكفالة العشرات من العائلات حتى يمتلئ شريطي بذلك التوهج الجميل.

تعود الحيطان البيضاء من جديد إلى المشهد الأول، جابر الذي كان يهمس في البداية في أذن أخيه خالد، بينما أنا كنت أريد سماعهم، يصدح الصوت في أذني بوضوح هذه المرة:

"أبوي في غيبوبة والأطباء يقولون ماكو فايدة حياته مرتبطة بهذه الأجهزة ومتى ما شالوها مات".

خالد يقول "خلاص بكرة راح أكلم المحامي عشان نقوم بالإجراءات".

يرن هاتف جابر "ألو صج ولدت بالسلامة ولد أو بنت؟".

أغلق السماعة ثم قال لأخيه خالد " باركلي ياني ولد قبل خمس دقايق".

جابر زرق بطفل، ما يعني أنني أصبحت جدا لذلك الحفيد.

لحظة تحدث هذان الأحمقان عن أرصدتي في البنوك، أنا ما زلت أعيش بينكم، أسمع همسكم، أريد أن أعود لأكتب وصيتي لكفالة تلك العائلات أريد أن أقول لباسل أنني أنا السبب في فصله من المدرسة، أريد أن أمد حبال الوصل ما بين سلوى وعادل لكي أزفها له، أريد تقبيل رأس أبي، أريد أن طلب المغفرة من أخي سالم، أريد إعادة كل السعادة التي أخذتها من تلك القلوب، ورسم الابتسامة على الوجوه التي مرت في ذلك الشريط.

ينقطع الشريط الذي كان كل لحظة يعرض مشهداً من حياتي، لم يبق سوى ذلك التوهج الجميل يدور فوق رأسي، سحابة هلامية عملاقة تدور حولي، أصوات أبنائي انقطعت، لم أعد أشعر بشيء، كأني هويت من مكان عالٍ.

وكان آخر ما سمعت بكاء أبنائي، وتلك الجملة التي كان يرددها رجل بملابس بيضاء "ادعوا لوالدكم بالرحمة ".

في يوم من الأيام سيمر شريط حياتك أمامك بسرعة خاطفة في مدة زمنية لا تقل عن سبع دقائق على الأقل، فاحرص على أن يكون الشريط رائعاً يستحق المشاهدة غير ممتلئ بذلك السواد.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

صك الغفران

انظر دائما لما بين يديك ولا تنظر لما في يد غيرك

بكيت كثيرا بعدما عرفت تلك الحقيقة المرة، التي بسببها أطلقت آهات الحسرة والندم من أعماق صدري، غير مصدق ما اقترفته يداي، في لحظة يقف عندها التفكير فجأة...

لكن عندما تبدأ انتفاضة العقل، لتسيطر بعدها الشهوانية على ساحاته، مستعمرة كل جوانبه، وقتها لا نحتاج إلى مكبرات أو إضاءة لكل نستطلع معالمه، ويصبح كل شيء واضح أمامك بصورة جلية

ما سأحكيه لكم هو عبارة عن خطأ ساذج وقعت فيه، وذلك بسبب الإهمال من قبل زوجتي، رغم أن إهمالها لم يكن كبيرا إلى هذا الحد، لكن جانبه الأكبر كان من ناحيتي.

بعد فترة زواج قاربت الأربع سنوات، أثمرت عن ثلاثة أبناء، الأمرالذي جعلها تترك كل شيء وراءها وتهتم بالأولاد.

أحضر إلى المنزل فلا أجد مكانا لراحتي.

صراخ وبكاء، وقفزة هنا، وسقطة هناك، أحمد يبكي، ليلى لا تفعلي هذا...

خالد ابتعد عن حاجياتي...

بيتي تحول إلى مركز حضانة للأطفال، ناهيك عن سوء نفسية زوجتي في غالبية الوقت.

وكثرت تذمرها من الوضع، حتى أنها دائما ما تتهمني بالإهمال وعدم المساعدة، والنتيجة في النهاية أنني لست بالزوج الصالح رغم ما أفعله لها طوال الفترة الماضية.

أرجع إلى البيت فقط بداعي الشوق لرؤية الأبناء بعد يوم طويل من العمل.

ما هي سوى لحظات من الجلوس معهم حتى أبدأ أتذمر منهم، وأسعى إلى الخلاص... وإرسالهم إلى الفراش، أو بالهروب من المكان الذي يتواجدون فيه.

هذا مسلسل كل يوم، حتى أنني تمنيت لو أن هناك محلات لبيع الهدوء والراحة.

نعم أشياء صغيرة ولا نشعر بها إلا أنها أغلى من الذهب والألماس.

أما من ناحية زوجتي فالأمر أصبح لا يطاق، أدخل عليها كل يوم أجدها على الحال نفسها.

جامدة الملامح، لا تهتم بمظهرها الخارجي، حتى أنني أراها بشكل ثان، كأنها امرأة ثكلى، ناهيك عن عدم اهتمامها بي، أو توفير سبل الراحة لي...

أصبحت الأنانية طاغية على طباعها بشكل كبير، تريد البحث عن راحتها فقط.

الأمر أصبح لا يطاق، وبدأ الشيطان يلعب ألاعيبه بعقلي، ويزين لي أمورا أخرى...

أعتقد أنكم عرفتم ما هي تلك الأشياء الذي بدأ الشيطان يوسوس بها لي، لكن كنت دائما ما أطردها من رأسي، وأردد بيني وبين نفسي لابد أن تعود زوجتي إلى طبيعتها في يوم من الأيام.

آه... تلك التنهدات دائما ما أطلقها من كينونة صدري، لكن لا أحد يسمع أو يجيب بالتحديد زوجتي التي أصبحت كومة من اللحم بسبب الزيادة الكبيرة في وزنها، وهذا طبعا من برنامج الإهمال اليومي الذي أراها فيه، وشهيتها التي انفتحت فجأة، فدائما ما أشاهد بقايا أكياس الحلويات في المكان الذي تكون فيه سابقا، ناهيك على لفائف السندويشات التي تقوم بها بين الحين والآخر.

وقررت بعد تفكير طويل أن أجلس معها وأتكلم بشأن هذا الموضوع من أجل وضع حد لكل هذا الإهمال والعودة من جديد إلى حياتنا السابقة، من أجل ترتيب الصفوف حتى لا نخسر بعضنا بعضا.

وبالفعل جلسنا وتحدثنا، وبدأ كل منا يقول ما عنده وكما هي طبيعة النساء كانت زوجتي تسعى إلى رمي المسؤوليات على عاتقي، وتحاول تبرر لنفسها ما تفعل وكل تبريراتها غير منطقية، لكن في الأخير وصلنا إلى نتيجة نسعى إلى عودة المياه لمجاريها وإعادة ترتيب أوراق حياتنا الشخصية من جديد.

مر شهر، وكنت أتطلع من خلاله أن أشاهد هذه التغييرات التي حددتها مع زوجتي في اجتماعنا الأخير لكن لا فائدة، الأمور أصبحت أكثر سوءا مما كانت عليه في السابق، حتى وصل الأمر في إحدى المرات إلى الضرب من ناحيتي بعدما فقدت سيطرتي على نفسي بسبب تصرفاتها المستفزة.

لم أعد أرتاح في بيتي نهائيا، كل الأمور في وجهي ضبابية، والعودة إلى البيت بالنسبة لي شر لابد منه، وكان متنفسي الوحيد هو الهاتف الذي أصبح كل شيء بالنسبة لي، أجلس مع هذه الشاشة الصغيرة ساعات وساعات، تارة تجدني أتصفح اليوتيوب، وتارة أخرى على توتير وأختمها دائما بالفيس بوك،

نعم الهاتف الصغير أصبح هو الصديق الجديد لأغلب الناس، بل لقد أصبح كالصديق الصدوق الذي يسلي وحدتك في أغلب الأوقات.

من خلاله تعرفت على العديد من الأصدقاء، كانت إحداهن امرأة اسمها أسماء عمرها مقارب لي، على حسب ما علمت منها، ومطلقة وكان سبب تعارفنا من خلال موضوع طرحه أحد الإخوان في إحدى صفحات الفيس بوك، عن سبب المشاكل الزوجية ومن هو المتسبب الأول بهذه المشاكل، وحالي حال كل الموجودين، طرحت رأيي بالموضوع ومن خلاله انتقدت المرأة بشكل قوي وجعلتها هي المتسببة في أغلب المشاكل الزوجية، وأن الرجل هو ضحية لمزاج المرأة المتقلب، وطبعا ما أقوله هو انعكاس لحالتي الزوجية التعيسة التي أمر بها.

وكان هذا الأمر هو أول مدخل لعلاقتي معها بعدما خالفتني في الرأي، بالإضافة إلى تحدثنا في أمور جانبية أخرى، وتطورت العلاقة حتى بدأنا نتحدث عن حياتنا الشخصية.

وبعد علاقة استمرت ثلاثة أشهر طبعا كانت كلها من وراء هذه الشاشة الصغيرة، أصبحت أسماء بالنسبة صديقة عزيزة، لا أتخلى أبدا عن أرائها أو حتى نصحائها، وهي أيضا كانت تحترم كل ما أقوله بل كنت أشاركها في اتخاذ بعض القرارات المصيرية التي تخص حياتها الشخصية.

أنا أعلم الآن ما يدور في رأسكم.

نعم نعم... بالفعل أنا أفكر بها كبديلة لزوجتي، كان الأمر في بدايته علاقة عادية، كالمراهق الذي يدخن السيجارة لأول مرة يقول في بداية الأمر إنه مجرد لعب، لكن لا يعلم مع مرور الوقت أنه سيصبح أسير هذه السيجارة.

ودائما ما أفكر بيني وبين نفسي، وبالتحديد عندما أضع رأسي على الوسادة.

أتقلب على فراشي وتبدأ الأفكار تتطاير أمامي بشأن موضوع أسماء، وأطرح على نفسي العديد من الأسئلة:

هل أسماء مجرد صديقة؟؟ أم هي حبيبة؟؟

لحظة هذا التفكير تكون زوجتي نائمة بجانبي أنظر إليها.

وأردد بداخلي...

لا لا لا... أسماء مجرد صديقة لا أكثر ولا أقل، وعلاقتي معها لا تتعدى شاشة الهاتف الصغير.

فزوجتي لا تستحق الخيانة فأخطاؤها عادية نعم إنه الضمير الذي يحدثني بكل شفافية، بينما القلب كان أسير أسماء وبعدها أحاول أن أشغل نفسي بتفكير آخر حتى أتهرب من ضميري الذي يلاحقني في كل مكان، كأنه شرطي يدون المخالفات لي على أي خطأ أقترفه داخل عقلي.

لا أعلم ما يحدث لي... أنا أشتاق إلى أسماء... عندما لا أراها متواجدة على صفحة الفيس بوك، أتضايق كثيرا، وأقوم من على شاشتي الصغيرة، لكن عندما تكون موجودة يبدأ هذا الثقل الموجود على صدري بالتزحزح تدريجيا، نعم إنه الحب، هذا هو الحب وهذه إحدى علاماته الكبرى، أسماء بالنسبة لي أصبحت كل شيء.

لم نتصارح بهذا الموضوع أبدا فيما بيننا...

لكن كانت مشاعرنا واضحة وجياشة تتجاذب فيما بينها، ورويدا رويدا تطورت العلاقة محادثات في الهاتف، اشتياق... دعوات إلى العشاء والغداء، تبادل الهدايا، حتى أنني رجعت إلى الوراء عشرون عاما، بسماعي أغاني مطربي المفضل عبد الكريم عبد لقادر، وأنا أردد أغنيته...غيب وأنا غيب.

وأرسل لها من هاتفي أقول لها... إهداء من محب.

وطبعا على الرغم من كل هذه الأحداث التي مررت بها، زوجتي لا تعلم، أو حتى أنها لم تكلف نفسها التساؤل عن سبب جلوسي الكثير أمام الهاتف الصغير، أو حتى سبب استعمالي له، نعم إنها كانت غائبة كليا عن حياتي، ولا تدري عن أي شيء.

لا تتصوروا أن هذا الأمر كان يسعدني كثيرا.

بل بصراحة شديدة يجعلني أتحسر من داخلي على الحال السيئ التي وصلت إليها زوجتي إلى أن وجدت نفسي عاشقا حتى الثمالة لأسماء التي سكنت القلب وسيطرت على المشاعر، وأصبحت المرأة الوحيدة في العالم التي ألوذ إليها وأفرغ كل ما يهمني في أحضانها، في يوم من الأيام سألتني السؤال الذي كنت أتوقع أن تسأله لي في أي لحظة:

ما نهاية هذه العلاقة؟

فأنت متزوج، وتتبعه بسؤال آخر...

هل تستطيع الزواج بثانية...؟؟؟

في بداية الأمر كنت أصمت، لكن في داخلي كنت أردد نعم أستطيع الزواج بالثانية، فأنا رجل وأحتاج إلى امرأة تقوم بكل واجباتها نحوي بعد الإهمال الكبير من زوجتي الأولى.

إلى أن تقدمت بطلب يدها... وسارت الأمور بشكل سريع، وما شعرت إلا أنا وأسماء في شقة الزوجية يجمعنا مكان واحد تحت سقف واحد، وورقة صغيرة كنت أحملها بيدي تثبت إن أسماء زوجة شرعية لي.

مر الأسبوع الأول من زواجي بأسماء، كأي أسبوع عسل يمر بين أي زوجين جدد، ذقت من خلاله حلاوة الزواج، حتى أنها عوضتني عن جميع الأمور التي كانت لا توفرها لي زوجتي، اهتمام كبير، ملابسي جاهزة، طعامي بيتوتي

وأقصد من كلمة بيتوتي أنه من داخل مطبخي الخاص، عكس ما تفعله زوجتي الأولى التي كان أغلب أكلها من المطاعم القريبة من بيتي، وحجتها أنها لا وقت لها للطبخ بسبب المسؤوليات الكبيرة الملقاة على عاتقها.

ورغم هذا كله فزوجتي الأولى، لم تشعر حتى أنها لم تشك لحظة في تصرفاتي.

أعرف أنكم الآن تتساءلون كيف كنت أبيت عند زوجتي أسماء.

سأقول لكم، في بداية الأمر كنت أتحجج لزوجتي الأولى بعملي، وبسبب الضغط الكبير الذي نواجهه مما جعلني أضطر إلى المبيت فيه، طبعا هذا العذر لا ينطلي على أي امرأة مهتمة بزوجها وترصد جميع حركاته، بينما على زوجتي مر عليها بسلاسة وبدون أي تعقيدات، أعلم جيدا أنه أمر مثير ومستفز.

حتى أنني كنت أقول لها سأسافر لمدة أسبوع، وطبعا العذر سفر عمل وكان هذا الأمر يتكرر كثيرا، من دون أي تعقيدات، ومرات أشعر أنها هي الأخرى تريد التخلص مني، أو أنها أصبحت لا تحبني وتنتظر الفرص حتى أكون بعيدا عنها.

أنجرف بكل ما فيه نحو أسماء، حتى أنني نسيت أبنائي أنفسهم.

وبعد أسبوع من زواجي وبينما أنا جالس مع زوجتي الجديدة في أحد المطاعم رن هاتف أسماء نظرت إليه بتوجس حتى أنني لاحظت الارتباك الذي بدا عليها.

وقلت لها بكل هدوء:

- من المتصل؟

ردت سريعا ولاح على قسمات وجهها بعض الارتباك وهي تقول:

- لالا إنها صديقتي وهي من النوع الذي يحب الثرثرة الزائدة، لا أريد أن أفسد أمسيتنا السعيدة بثرثرتها.

حاولت إقناع نفسي بما تقول لأني كنت وقتها أعيش في أيامي العسلية ولا وقت لي للنقاشات الجانبية التي تسبب المشاكل، ولا أريد لأي شيء أن ينغص علي هذا الوقت الجميل، لأني غير مستعد في الوقت الحالي للشك أو الغيرة... بالإضافة إلى حبي الكبير لأسماء الذي جعلني لا أرى أي شيء أمامي سواها، ومستعد لأكفر عن جميع خطاياها.

إلى أن جاء ذلك اليوم وبالتحديد بعد أسبوعين تقريبا من زواجي، كنت جالسا في شقتي أشاهد التلفاز، حتى سمعت صوت مفاتيح الباب تتضارب مع بعضها بعضا، وعرفت أنها زوجتي...

جلست بجانبي بكل هدوء على عكس ما كانت تقوم به كل يوم، أنا لحظتها كنت أضع كل تركيزي على التلفزيون وبالهدوء الذي دائما ما يسبق العاصفة.

قالت أسماء بنبرة صوت لم أعتد عليها... منصور...

رددت عليها وعيوني لا تزال تشاهد التلفاز... نعم حبيبتي.

ردت بهدوء...

- طلقني... رددتها مرتين... طلقني...

عندما سمعت هذه الكلمات... ابتسمت مع استدارة بكامل وجهي نحوها وقلت:

- أطلقك!!

ورجعت مرة أخرى أشاهد التلفاز بعد ابتسامة ساخرة مني... ومرددا في داخلي أنا أعرف أنه اختبار قوي لحبي لك، لكن صدقيني أنا أطلق نفسي ولا أطلقك.

لكنها عاودت مرة أخرى طلبها بلهجة أكثر حدة.

- منصور طلقني فأنا أتكلم بجدية.

لم أرد عليها وكنت أبتسم لحظتها، متوقعا أن الأمر ما يزال في دائرة المزاح.

بعدها قامت وسحبت يدي وهي تقول بصوت عال:

- اسمع أنا أتكلم بجدية ولا أمزح طلقني، طلقني، لقد انتهى دورك.

لحظتها عرفت أن الأمر ليس بالمزحة.

والتفت إليها قائلا...

- لنفترض أن الأمر جدي مثلما تقولين، هل يمكن أن أعرف ما هي أسباب الطلاق...

قالت بكل بهدوء مستفز...

- لأنني لا أحبك، ولا أعرف كيف مضى الأسبوعان اللذان عشتهما معك.

فأنت بالنسبة لي كنت فقط جسر عبور.

ماذا جسر عبور، عيناها وملامح وجهها كانت واضحة، ومؤشر كبير على أنها لا تمزح أبدا.

ماذا تقولين، كيف أنا جسر عبور، وأين الحب والعشق الذي عشنا فيه طوال الفترة الماضية؟ هل كان مجرد تمثيل؟

قالت مع ابتسامة صفراء ساخرة جدا:

- وضعت مفردة مناسبة لحديثنا، نعم مثلما تقول مجرد تمثيلية صغيرة من أجل الوصول إلى مبتغاي ودورك انتهى.

اسمع... منصور قالتها بحدة، أنت أفضل شخص اخترته ليقوم بهذه المهمة وبالتحديد دور المحلل.

كيف ماذا... بصراحة وقتها لا أعرف ما أقول تزاحمت الكلمات في فمي من هول الصدمة.

بدأت تنهش صدري... أنا مجرد محلل.

قالت نعم محلل... بعد المطب الشرعي الذي وقعنا فيه أنا وزوجي السابق وأعتقد أنك عرفت الباقي...

وأكملت...

- أنا حتى الآن أعشق زوجي السابق أو طليقي اختر ما تريد منها، لكن بسبب الظروف والمشاكل التي أحيطت بنا طلقني طلاقا بائنا، كنا نظن أننا سنستطيع أن نبتعد عن بعضنا بعضا بعد أن قررنا أن ننفصل، لكن الحقيقة غير ذلك بل زاد تعلقي به وهو كذلك فلم نجد سوى طريقة المحلل الشرعي، بسبب عدم قدرتي على أن أكون زوجة شرعية له من جديد إلا في حال زواجي من آخر وأن أطبق كامل الشروط الشرعية الموجودة في الزواج الصحيح، فلم أجد إلا أن أقوم بهذه الحيلة الصعبة، من أجل العودة من جديد إلى حبيبي... وأنا أعلم لو قلت لك الحقيقة لن تقبلها، واخترتك بعد دراسة مستفيضة لشخصيتك وعرفت أنك الأصلح والأفضل للقيام بهذا الدور، بسبب

عفويتك الزائدة عن حدها، وأنك ستقبل الحقيقة المرة بهدوء مستغلة ظروفك ومشاكلك الزوجية.

أتذكر... عندما كنا في المطعم ورن هاتفي ولم أرد عليه ولحظتها قلت لك إنها صديقتي الثرثارة... بصراحة وقتها خفت وارتبكت كثيرا وكان من المفترض أن تكون أكثر نباهة مما أنت عليه، ولو دققت قليلا لكشفت أن المتصل كان زوجي السابق وحبيبي.

نهضت ومن عيني يتطاير الشرر وقلت:

يا حقيرة يا ماكرة، كنت طوال ذلك الوقت تتلاعبين بمشاعري، غير مكترثة بي، كل النساء مجرد أنانيات يردن الرجل على أهوائهن، وإذا لم يكن كذلك قلن عنه إنه رجل سيء...

ثم اندفعت بشدة نحو رقبتها حاولت خنقها...

كانت في هذه الأثناء تمسك بهاتفها وتقول لي:

- انظر انظر، بصوت متحشرج بسبب خنقي لها...

...سأقوم بالاتصال بزوجتك سأفضحك...

ماذا زوجتي...

قالت نعم زوجتك... ضغطة واحدة وسأقوم بالاتصال بها وأقول لها الحقيقة...

وأجعلك تخسر كل شيء فأنا أعلم أن زوجتك الأولى مهمة لديك، وبالتحديد أبناؤك لا تريد أن تخسرهم كلهم بسبب لحظة غضب، وهي نقطة الضعف التي كشفتها من خلال فترة الزواج التي قضيتها معها.

هدأت قليلا وجلست على الكرسي واضعا يدي على وجهي، وأردد في داخلي ماذا فعلت... أين كانت هذه الحقيقة؟ لماذا لم أرها من البداية؟

نعم أصبح كل شيء واضحا وجليا أمام عيني لا يحتاج إلى مكبرات أو إضاءة عالية الدقة لكي أستطلع معالمها.

رفعت رأسي ووجدت أسماء رافعة هاتفها إلى الأعلى وتقول لي:

- ...هيا أطربني بكلمة طالق... لديك دقيقة بعدها سأقوم بالاتصال بزوجتك... وأعتقد أنك لا ترضى أن تكون على ذمتك امرأة تحب رجل آخر.

بصراحة لم أجد إمامي أي خيار سوى أن أقول لها أنت طالق... طالق... طالق بلا رجعة...

هنا علت ضحكتها وقالت مع السلامة... موعدنا في المحكمة من أجل أخذ صك رجوعي إلى حبيبي... فالشقة وكل ما فيها لك.

خرجت وعم الهدوء المكان... أصبحت الحقيقة التي سمعتها كالسيوف المتسلطة على قلبي.

بكيت كثيرا وأنا أردد في داخلي... لماذا كانت هذه الحقيقة غائبة عني طوال هذه الفترة... لماذا لم أرها

طوال هذا الوقت... الماكرة... الحقيرة.

لا لا... لا داعي للبكاء على اللبن المسكوب... فزوجتي وأبنائي لا يزالون في يدي... ولم أخسرهم

ولدي فرصة...

انطلقت سريعا بسيارتي ولحظتها كانت كل الشوارع طبعا في تصوري سوداء بسبب ما حصل لي، وأرى صورة زوجتي وأبنائي يتراءون أمامي فقلبي كاد أن يخرج من مكانه من شدة خفقانه...

وصلت إلى بيتي... كان الجو وقتها حارا جدا ورطبا.

والعرق يتساقط من أعلى رأسي... كأن آلامي تذوب مع نزول عرقي على وجنتي... ترددت كثيرا قبل الدخول إلى البيت بسبب شعوري بالذنب وحضرة السيد ضمير كان وقتها حاضرا ويؤنبني بشدة يهمس في عقلي كلمته الشهيرة ... ألم أقل لك لا تفعل هذا...

لكن الفرصة لا تزال سانحة...

وقفت عند باب البيت وضعت المفتاح في الباب... أدرته بكل هدوء... كانت الأنوار لا تزال مضاءة، وهو مؤشر على أن زوجتي لا تزال مستيقظة، فأنا أعلم طقوس زوجتي وأبنائي قبل النوم...

دخلت إلى الصالة ووقفت أمام بابها ونظرت بعيون حزينة إلى ما في داخلها فوجدت زوجتي تلعب مع أبنائي...

آه... صرخة خرجت من داخل أعماق صدري كنت سأخسرهم للتو... لكن الحمد الله فهم لا يزالون معي.

نظرت إلي زوجتي بعدما انتبهت لوجودي... وقالت:

- منصور... يا لها من مفاجأة متى عدت من سفرتك؟

طبعا... هي إلى الآن تظن أنني مسافر... نهضت وقامت باحتضاني... لم تكن زوجتي تفعل هذا الأمر في السابق واحتضاني، فهذه المرة الأولى التي تقوم بهذا الأمر.

لا أعلم لماذا قامت بهذا؟ هل تريد أن تزيد في عقابي وتعذيبي بينما كان أبنائي يشدون ثيابي من أجل تقبيلهم، وهي عادة دائما ما أقوم بها فور وصولي إلى المنزل في السابق.

احتضنتها بشدة وكأني لم أرها من سنين... ومن غير شعور تساقطت دموعي على خدي بغزارة... انتبهت زوجتي وقالت:

- حبيبي لماذا تبكي... لقد أقلقتني...

حبيبي ما أجملها عندما تخرج من بين شفتيك زوجتي الغالية... الآن عرفت قيمتها ومعناها.

قلت لها متداركا الأمر بشكل سريع وأنا أمسح دموعي...

- لا لا شيء لكن في طريقي إليكم كدت أن أموت بعد أن انقلبت سيارة، وكادت أن تصطدم بي لكن... الحمد الله استطعت تجاوزها... لحظتها رأيت الموت أمام عيني... وأحسست أنني سأفقدكم... وهذه دموع فرحتي بعودتي سالما لكم وها أنتم الآن أمامي.

احتضنتني مرة أخرى وقالت: الحمد الله على سلامتك...

وطبعا أثناء ذلك تذكرت كل ما حصل لي، وقارنت بين زوجتي وأسماء ووجدت أن زوجتي على الرغم من عيوبها تبقى زوجتي أم أبنائي، وعيوبها لابد من تجاهلها وأن أتحملها مهما كانت، ولا أدقق في كل شي يبدر منها، وأتغاضى عن الأمور الصغيرة مهما كانت مزعجة.

وتذكرت أن ما فعلته كان مجرد بقعة داكنة وكبيرة من الألم وقعت على ثياب قلبي البيضاء، لكن عقدت العزم على إزالتها ونسيانها، وكوني لم أخسر عائلتي الصغيرة فالأمر درس عابر شديد القسوة لابد من الاتعاظ به... وقلت في نفسي وأنا أحتضنها هذه الكلمات: ما أجمل عيوبك زوجتي العزيزة...

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

خاتمة

كل منا يملك في داخله أشياء كثيرة لا يعرف أنها موجودة فيه، فالمواهب والإبداعات كالجواهر الثمينة لا تستخرج إلا في أصعب الظروف، فالصدمات والحزن والخيبة والانكسارات عندما تحل عليك تستخرج أفضل ما فيك، إذا تعاملت معا بالشكل الصحيح، فترى تلك الأشياء الخفية التي دفنت داخلك، وتجعلك ترى بعين ثالثة، وتنبض بأكثر من قلب، وتملك حاسة سادسة، وربما تجعلك في حالات خاصة إنسانا خارقا للعادة، استثمر حالات ضعفك، واستخرج منها قوتك.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(تم الكتاب بحمد الله وتوفيقه)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

متميزون
للكتب النصية
E-Book

Group Link – لينك الانضمام الى الجروب

Link – لينك القنـــــاة

الفهرس..

عن الكتاب..

مقدمة

شؤم

رأيت نفسي

ذهول

سراب الموت

7 دقائق

صك الغفران

خاتمة

الفهرس..